

يوسف العاني

الصرير

خمس مسرحيات قصيرة

- مجنون يتحدى القدر
- الصرير
- اللعبة الموجعة
- الساعة
- صديقي الذي مازال يبتسم

مكتبة الفكر الجديد

الصرير

خمس مسرحيات قصيرة

مسرح المدى

اسـم المـؤلـف : يوسف العاني
عنوان الكتـاب : الصرير
النـاشـــــــر : المدى
الطبـعـة الأولى : ٢٠٠٨
الحقوق محفوظة

Author : Yousif AL-A'ani
Title : The Creaking
Al- Mada P.C.
First Edition : 2008
Copyright © Al- Mada

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

بغداد- ابو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
E-mail:almada112@yahoo.com

يوسف العاني

الصرير

خمس مسرحيات قصيرة

وصيتي

أيها القراء الأعزاء..

ليقرأ من لم يقرأ، وليتعلم من لم يتعلم، وليكافح من جلس في الظل متفرجا، فالحياة بلا جهد تظل ساحة فارغة من الأمل، خالية من الجمال... ثقوا ان العمل هو مجدد الحيوية، والصدق هو الذي يريح الضمير، فكونوا صادقين مع أنفسكم أولاً... فالكذب قد ينطلي على الآخرين، بسبب من الأسباب لكنه لم يخدع الضمير...!

حبوا لغيركم ما تحبونه لأنفسكم، فذاك ابسط مطلب من إنسان نبيل!

ارسموا البسمة في القلوب قبل أن ترسموها على الشفاه..!

الغرور سلوك يقتل إنسانية الإنسان ويوقعه في حفرة النسيان على عجل..!

الفنان علامة مضيئة فليحرص فنانونا على ان يظلوا مضيئين، وان ينفذ ضوءهم إلى أعمق أعماق النفس.. والحياة حلوة، رحبة حين تصفو النفس، ومتاعب الحياة لم تقتل الأمل مهما عسرت.. فالإنسان قادر على مواجهة الصعاب بالإرادة والثقة والعلم والإصرار..!

ليس على الإنسان إلا ان يكون ثابتاً في مواقفه، لا يميل مع الريح حيث تميل، فكرامته فوق كل "دبق" الدنيا ومغرياتها.. فلنظل مرفوعي الرؤوس، حاملين قيمنا في صندوق الذات الذهبية، فذاك هو سر البقاء والخلود..!

بغداد.. ١٩٩٥

مقدمة عامة

حميد المطبعي

يوسف العاني فنان الحياة بمعنى الكلمة، لأنه من القلة التي تمارس أكثر من عمل وفي أكثر من مجال، فمع المسرح والسينما، مارس النقد وكتب في شؤون الحياة الواسعة، وفي السياسة، وجعل المجتمع بكل ما احتواه من ظواهر أو مظاهر مادة له وظّفها في خدمة مسرح الجمهور، لكن موضوعة الإنسان كانت وما زالت هي البؤرة الفنية التي التقت عندها كل رؤيته، وانحصرت فيها كل اهتماماته، وإذ نحتفل به في هذه "الندوة" إنما نحتفل برائد من رواد مسرحنا الشعبي، وبكاتب وممثل في آن، كتب للمسرح عشرات المسرحيات، ومثل فيه حالات الإنسان في مختلف قضاياه، وخلال لقائنا به حدد ذاكرته ويومياته عن نشوء مسرحنا وبنائه بالتجربة والمعاناة، فكان هذا الحوار المفتوح:

مسرحنا في مصاف أرقى المسارح العربية!

● هل يتميز مسرحنا العراقي عن المسارح الأخرى وبدأ العاني بدايته يقول:

- ربما كانت للمسرح العراقي صفات تميزه عن المسارح العربية الأخرى يمكن أن نذكر أهمها:

فالمسرح العراقي بدا مثقفا، وحين أقول ذلك اعني بالبدايات المسرحية مسرحاً وليس أدباً. فالعروض المسرحية بدأت من المدارس، ومواضيع هذه المسرحيات كانت تنصب على الاستقلال والمواضيع القومية والتاريخية ومن هذه المسرحيات ومن المدارس التي قدمت هذه المسرحيات راح طلبة من هواة هذا المسرح يبحثون عن مسرح لهم يحقق هواياتهم وطموحهم، فجاءوا لساحة المسرح ليس على انه مورد رزق أو مجال عيش لهم، وإنما لتحقيق رغبة في ذاتهم لطارئ جديد اسمه المسرح، وكان ان جاءت فرق مسرحية عربية تقدم عروضها، فكان هناك تأثير عليهم في تكوينهم وفي تعلمهم ومن ثم ممارستهم. وظل مسرحنا العراقي رغم كل مراحله وظروفه بعيداً عن الاحتراف وبعيداً كل البعد عن الصيغ التجارية الشائعة في عديد من الأقطار العربية.

والصفة الثانية ان الفرق المسرحية الخاصة. والتي هي عادة فرق تسمي نفسها "القطاع الخاص" أي تعتاش على هذا المسرح، هذه الفرق الخاصة هي الوجه المثقف أيضاً ورمز المسرح: الهواة الذين يحققون من خلاله هواياتهم المشروعة.. فكان ان قدمت هذه الفرق أفضل الانتاجات المسرحية وأكثرها تقدماً في المضمون والشكل. اما اختلافه عن المسرح العالمي فالأمر ينصب على ان المسرح العالمي مسرح تقدم في كل شيء فنياً وتقنياً. وعمق تجربته وبالرغم من ان مسرحنا في عدد من أعماله المسرحية يصل إلى العالمية وأقول ذلك وأنا واثق من تقديري للأعمال التي أضعها في هذا المستوى.

ومسرحنا العراقي يظل عن جدارة في مصاف أرقى المسارح العربية.

ومسألة أخرى تميز مسرحنا وهي ان الحركة الشبابية فيه حركة دافقة ومتقدمة كذلك وتكاد تستوعب الجوانب الايجابية في المسارح الأخرى لتأخذها وترفض سياقات المسارح المستهلكة.

● وهل تساهم في هذا المسار المسرحي الجديد..؟

- إنني أساهم في مسار هذا المسرح مساهمة جادة فأضع يدي وطاقاتي مع الجديد النافع الذي المسه في كل التجارب الجديدة المهمة، فأنا متهم بانحيازي لحركة الشباب المتوهجة وتلك اشرف تهمة توجه لي!!

● ويستدرك العاني مسألة جديرة بالاهتمام، قائلاً:

- فارق آخر فاتني ذكره يتميز به المسرح العراقي. ذلك انه لم يسيس وإنما بدأ مسرحاً سياسياً، فالذين مارسوا هذا المسرح كانوا يحملون هويتهم السياسية الوطنية وصار المسرح وسيلة تعبير لوجهة نظرهم تلك، فالسياسة لم تأت إلى المسرح من فوق ليكون سياسياً ـ بالمفهوم غير الدقيق ـ كما يجري الآن في كثير من المسارح ـ العربية التي توجه النقد للأوضاع القائمة بصيغة مضحكة دون أن تثير في نفوس الجماهير الإحساس بالخلل وبتعميق الإحساس.. مسرحنا العراقي لم تدخله السياسة بل كانت السياسة منه ابتداء ومن خلال مسرحيين أنفسهم. وتلك ظاهرة وسمة تميز بها مسرحنا وما زال!

مراحل الولادة الأولى!

● ويستذكر العاني مراحل بناء المسرح العراقي عبر تجربته:

- البدايات كانت تقليداً وتأثراً بالفرق المسرحية التي كانت تزور

العراق. وأهمها فرقة جورج ابيض ويوسف وهبي وفاطمة رشدي.. ثم اتسع نطاق العمل المسرحي بنكهة عراقية جديدة حين بدأت مسرحيات عراقية مؤلفة تقدمها الفرق المسرحية في الثلاثينات يقف في مقدمتهم أبو شرارة "موسى الشابندر" بمسرحية وحيدة.. ثم صفاء مصطفى.. ولعل تأسيس فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة عام ١٩٤٠ كان انعطافة مهمة وعميقة في تحويل المسرح إلى فن وثقافة، فرفد فرع التمثيل بطاقات من خريجيه ليساهموا في وضع لبنات المسرح المدرسي ثم ليتسع النشاط إلى الفرق المسرحية.

وفي بداية الخمسينات راح شباب مثقف يحاول كسر التقليدية في المسرح مضاميناً وأشكالاً ليواكب روح العصر ويتجاوب مع متطلبات الناس ويعكس مشاكلهم ويرسم طموحاتهم بالقدر الذي يستطيع.. وهكذا اغتنى ـالمسرح بمحاولات مخلصة ومتقدمة حتى أثري بعد ذلك بفنانين درسوا المسرح خارج القطر ليعودوا ويساهموا في إعلاء شأن المسرح فنا وثقافة ومتعة عميقة. وكنت واحداً من الذين ساهموا بتواضع مع هذه المجموعة الشابة فكانت تجربة معهد الفنون الجميلة في بداية الخمسينات كاتباً فيها وممثلاً ثم تأسيس فرقة المسرح الحديث برئاسة إبراهيم جلال.. لأقدم مسرحياتي من خلال الفرقة: رأس الشليلة وتؤمر بك وفلوس الدوه وغيرها.. فكانت هناك صلة وثقى بين الفرقة ـالمسرح الحديث ـوبين الجماهير الواسعة التي جاءت للمسرح برغبة ملحة وحماس منقطع النظير، فانكسر الحاجز بين المسرح وبين الجمهور..

وظلت تلك التجربة تستمر وتتسع حتى وصلت حالة من العلو في مستوى المسرح العراقي لاسيما في بداية السبعينات، الأمر الذي جعل مسرحنا كما أشرت في بداية الحديث في الطليعة من مسرحنا العربي.

طبيعة الممثل المسرحي العراقي!

● وما طبيعة المسرحي العراقي عبر هذا التاريخ؟

يقول العاني:

- المسرحي العراقي في كل هذه المراحل ظل مثابراً صادقاً في محاسنه وإصراره على إبقاء المسرح العراقي بالمستوى المتقدم دون ان ينزل به إلى المستوى الشائع في المسارح التجارية المستهلكة، والمسرحي قد يقع أحياناً في الاجتهاد ليخرج عن الخط البياني الصاعد، فان ذلك يعني اغناء التجربة وتعميقها.. فلو جردنا مسار مسرحنا لأشرنا إلى عدد ليس بالقليل من المسرحيين ممن ظلوا مناضلين مجتهدين. مدافعين عن قيمهم رغم المغريات ورغم السهولة التي تتوفر لهم في مسرح آخر يوفر لهم "النقود" بلا جهد ولا عمق..

وفي البداية تعرض المسرح العراقي الصادق والمخلص إلى مضايقات جمة.. كانت مصادرة حريته واحدة من هذه العوائق مع ذلك استمر هذا المسرحي في دربه بلا خوف ولا كلل.. وكان لي شرف المنع والابعاد والتهديد بالسجن والنفي في مرحلة الخمسينات.. فاضطررت إلى تبديل اسمي بأسماء أخرى لتمر المسرحيات التي اكتبها وتظهر على المسرح..!

البعد التاريخي..!

● ويتحدث العاني عن المنابع الرئيسة لمسرحنا:

- إذا اعتبرنا ان أساس المسرح في العالم أساساً دينياً فان في بعض طقوسنا الدينية علامات يمكن ان نعتبرها واحدة من هذه الأسس وقد اثبت الدكتور محمد عزيزة ـ من تونس ـ في كتابه الإسلام والمسرح

وذلك في دراسة قيمة باللغتين الفرنسية والعربية.. أما العصور البابلية فلدينا من الملاحم ما أكد وجود القاعدة التي يمكن لنا من خلالها واعتماداً عليها ان يكون هناك مسرح له كل مقوماته وأسسه.. ولنا في ملحمة جلجامش الرائعة خير دليل ومعين لرأينا هذا..

وبهذه المناسبة وبما أكده المؤرخون ان الأساس المسرحي عندنا اعرق وأقدم من المسرح اليوناني القديم، بل واعرق من جذور المسرح في العصور الرومانية.

إضافة إلى هذين المنبعين لدينا في تراثنا العربي خزين ثر التفت إليه بعض مسرحيينا واستوحوه في عديد من مسرحيات كان لها وما زال الأثر الكبير والهام في "تأصيل" مسرحنا العربي!

ولما توقف عن الكلام، سرح بخياله الخصب إلى الأفق، ورفع يديه بخيال قائلاً: هذه الثمرة نضجت، نضج الإحساس بوجود مسرح، نضج الخيال..!

كيف يفسر العاني حركة المشاهد العراقي؟

ولكن لابد من انك أيها العاني قد عشت في تجربة المشاهد العراقي، كيف رأيته، ميوله ورغباته، وهنا يوضح العاني رؤيته بصراحة ويقول:

- المشاهد العراقي يتميز عن غيره في أكثر الأقطار العربية بحساسية مرهفة تدعوه إلى التأمل أكثر مما تدعوه إلى المشاهدة العابرة، ولقد حضرت وشاهدت وراقبت المشاهدين في مسارح عربية متباينة ومتنوعة فأدركت ان مشاهدنا يظل راغباً في الاكتشاف والامتلاء بالمتعة

والتصرف على كل ما يجري على خشبة المسرح، بل انه وفي كثير من الحالات يحمل ما يطرح على المسرحي أفكاراً وتفسيرات يتمثلها بأنه مقتنع بأن المسرح انعكاس لما يعتور في نفسه وفكره وتصوراته..

والمشاهد العراقي يظل سياسياً بطبعه يفسر كل الظواهر تفسيراً سياسياً لاختناقاته الطويلة عبر عهود خانقة قديمة قبل الثورة المجيدة لم تترك له متنفساً إلا بالسر وبعيداً عن الصراحة والحرية التي ينشدها.

وجهة نظر قابلة للنقاش..

هذا المشاهد الذي كنا نفخر به ونباهي، قد مال عن هذا الخط الجاد والممتع في آن واحد، والمسؤولون هم المسرحيون أنفسهم فان المشاهد متلق وهو طوع ما يقدم إليه، فهو مادة خام لينة يتأثر ويتحرك وفق معطيات تأثير من خلال خشبة المسرح ومن عليها، وقد انجرٌ في فترات إلى عطاءات سهلة ساذجة ومسفة في كثير من الأحيان، الأمر الذي قاده إلى حالة مشابهة في الإحساس الساذج المحرك لعواطفه وغرائزه ووضعه بموقف "المسذّج" ان جاز لي هذا التعبير، والكشف عن انفعالات مبالغ بها تتناسب ووفق ما يقدم إليه. فبات المسرح بالنسبة إليه مكان لهو لا أكثر ولا اقل يتصرف فيه كما يتصرف في أماكن اللهو الأخرى.. سلوكاً وتعبيراً..!

هذه الظاهرة وأقول - مع الأسف مرة أخرى، جاءتنا مستوردة من الأعمال المسرحية الهابطة التي تنقل إلينا غبر التلفزيون.. مما جعل بعض المسرحيين الموهوبين يتمسكون بها واعتبارها المنطلق لأعمال مسرحية يجدونها لأنها - كما ذكرت - سهلة خالية من العمق الإنساني الذي

يتطلب دراسة ودراية وامكانات لا تتشبث بالسطح فحسب. فكان ان انجرّ المشاهد إلى ذلك واعتبره هو الأساس في المسرح وراح يضيق أحياناً بالوجه الثاني للمسرح العراقي الأصيل الذي يعرف فنانوه متى يضحكون المشاهد وكيف، ومتى يضعونه في حالة التأمل والتفكير كما قلت!

حركة التنوع في المسرح العراقي!

● هل يتعدد المسرح العراقي، وما رأي العاني في هذا التعدد..؟

يقول:

- ليس هناك أنواع من المسرح، بل هناك مسرح واحد تتفرع منه أنماط وأشكال مسرحية.. أو مضامين مسرحية وكذلك مدارس مسرحية..

ومسرحنا العراقي يقدم العديد من هذه الأنماط.. هناك المسرح العالمي وتكاد أكاديمية الفنون الجميلة تحتضن هذا المسرح فتقدمه نماذج دراسية لكنها تفسح المجال للجمهور المحب للمسرح ليتطلع ويتعرف عليه، وهناك مدارس عديدة خاضها مسرحنا من خلال تأثر مسرحيينا بها خلال دراساتهم أو من خلال بحثهم ومتابعتهم لما يجري في المسرح عالمياً، لقد قدم مسرحنا من المسرح العالمي المسرح الكلاسيكي، والمسرح البرشتي. ومسرح العبث، وقدم في مجال (التجريب) مسرحيات كثيرة ومتنوعة، وكان المسرح الكوميدي واحداً من المسرحيات الأثيرة في مسرحنا، سواء كانت مسرحيات هذا المسرح عالمية أم عربية أم عراقية..

وحاول في أكثر من مرة "تعريق" المسرحيات العالمية.. كما جرى مثلاً في مسرحية "حرم صاحب المعالي" حيث قمت أنا بإعادة كتابة نفس

الفكرة من المسرح الروماني، لأن الحدث الرئيس فيه له نظير عندنا فتمثلت الشخصيات عراقية، وقدمتها الفرقة القومية وأخرجها محسن العزاوي.

ان هذا التنوع في الاختيارات يعطي لمسرحنا العراقي معرفة لا تقف عند حدود مسرح واحد يظل حبيس اجتهادات وإبداعات واحدة.. ويكفي ان اذكر على سبيل المثال مسرحية "بونتولا وتابعه ماني" لبرشت والتي سميت "البيك والسائق" وقدمتها الفرقة القومية للتمثيل وأخرجها المرحوم (إبراهيم جلال) وقمت أنا بدور "بونتولا، ضيفا على الفرقة وقاسم محمد بدور "ماني" ضيفا على الفرقة أيضاً، وقدمت في بغداد عام ١٩٧٥ وفي مهرجان دمشق لذلك العام تم في الأسبوع الثقافي العراقي في مصر، ١٩٧٥ حيث قدمت في القاهرة والإسكندرية فاعتبرت من أفضل الأعمال المسرحية التي قدمت في كل مهرجانات دمشق المسرحية ومن أفضل ما قدم في مصر من أعمال برتولد برشت مستوى وفنا وفهما لمدرسة برشت المسرحية مع ملاءمتها لطبيعة إدراك المشاهد العربي.

واذكر مسرحية (بانتظار جودو) التي ترجمها بلهجة عراقية بسيطة الأستاذ (جبرا إبراهيم جبرا) وأخرجها لفرقة المسرح الفني الحديث سامي عبد الحميد، فقد كانت مسرحية متقدمة فنا وأداءً وتعريفاً بهذا النوع من المسرح.

تأثيرات المسرح العربي..؟

● **هل حدث تفاعل بين مسرح الأقطار العربية ومسرحنا، ما أوجه هذا التفاعل؟** يقول العاني من خلال تجربته الطويلة.

- المسرح العراقي جزء من المسرح العربي، وما مس المسرح العربي مس المسرح العراقي بشكل أو بآخر. لكن مسرحنا، قد تأثر بالمسرح العربي ابتداءاً لعدم اتصاله أو تواصله بأي مسرح آخر، فكان للمسرح المصري أثره الكبير فيه، حين زارت العراق الفرق المسرحية المصرية وكان أهمها. فرقة جورج ابيض - فرقة يوسف وهبي - فرقة فاطمة رشدي.

هذه الفرقة كانت المفتاح للإطلاع على مسرح يأتي من خارج العراق وهذه المسارح متأثرة أساساً بالمسرح الفرنسي الذي جاء مع الاحتلال ومن خلال من درس في فرنسا أولا. جورج ابيض، والمسرح الإيطالي _يوسف وهبي، فالمسرح المصري إذن كان النموذج بالنسبة للعراقيين في بدايات عطائهم المسرحي.. وظل هذا التأثير ساريا لفترة طويلة وإلى حين سفر عدد من المسرحيين لأقطار أجنبية وعربية وإلى حين فتح أبواب المعرفة للإطلاع على ما يجري في أكثر مسارح العالم.

والتأثر بالمسرح العربي جاءنا كذلك من أدبيات مسرحه، فالنصوص العربية من مصر وسوريا ولبنان ثم المغرب العربي كانت هي النصوص المعتمدة في مسرحنا. ولم يكن للمؤلف العراقي موقع إلا ما ندر، فالساحة ظلت للكتاب المسرحيين العرب: احمد شوقي، عزيز أباظة محمود تيمور، توفيق الحكيم، رنيف خوري ثم يأتي بعدهم الجيل الثاني: يوسف إدريس، عبد الرحمن الشرقاوي، نعمان عاشور، الفريد فرج وآخرون أيضا..

لقد ظل هذا التأثير لفترة ليست بالقليلة ويسرنا الآن ان نقول ان تبادل هذا التأثير بدأ يأخذ سبيله حين بدأ المسرح العربي في أكثر من موقع ومكان يتناول مسرحنا العراقي _أدباً ليقدمه في مسارحه واجداً

فيه سمات تختلف عن المسارح الأخرى، وهذه حالة صحية يمكن تطويرها لتشيع لا في بلد واحد بل على صعيد الأقطار العربية كلها..

* * *

وهذه هي كل أمنية العاني، في ان يتطور مسرحنا وينتشر في كل أفق، لأنه مسرح العطاء الإنساني والتجربة الإنسانية..!

تفاعل المؤثرات:

ويستمر في حديثه، هنا، عن تأثيرات المسرح العالمي على المسرح العراقي يقول:

- دون شك، ومنذ ان فُتح المجال أمام الدارسين لدراسة المسرح والتعرف عليه بعلمية ولأننا - كما قلنا - قد استوردنا المسرح أشكالاً ومضامين من العالم حيث صار المسرح فاعلية تقدم للناس وليس أدباً يقرأ. منذ ذلك وتأثيرات هذا المسرح العالمي واضحة علينا في كل ما نقدم، وندرس ونتعلم، فمن درس المسرح جاءنا به من هناك من فرنسا.. إنكلترا.. ايطاليا.. ثم الاتحاد السوفيتي وهكذا.. دون شك ان معظم نظريات الإخراج والتمثيل هي ليست منا، وإذا كنا قد اشرنا إلى علامات يمكن اعتبارها أو الاعتماد عليها كفن مسرحي فإن التنظير الواسع والمتباين لدى العالم قد أحاط بالكثير من الحالات المسرحية واقنع الدارسين به بسبب عملية هذه الحالات ومحاولة ربطها حضارياً وتاريخياً بتراث غني لم ينظم بين الماضي والحاضر.. سار في خط متواز مع مستحدثات هذا الفن.

كان مسرحنا يحاول ان يغتني بالنظريات الجديدة وكانت كل المصادر

تأتينا من أكثر من بلد أجنبي.. وكنا نكتشف فيها الجديد وان كان بعض منها يعيش معنا من خلال الممارسة التي لا ندريها أو لا ندري أسبابها وجذورها.. وظلت هذه التأثيرات تسري في معهد الفنون الجميلة، المؤسسة التي خرّجت الدفعات الأولى من المختصين في المسرح، ومن ثم أكاديمية الفنون الجميلة... كانت هذه التأثيرات هي الأسس العلمية وسوف تظل هي الخطوط التي نسير عليها ومعها، إلى حين إيجاد الصيغ والقيم التي ترتبط بنا كليا وتعكس حالات أصيلة فينا، آنذاك يمكن ان نجد منعطفا وابتعادا عن "بعض" وليس عن كل. فالتأثيرات سوف تظل طويلاً وأنا لا اعتبر ذلك عيباً في مسرحنا.

وقلنا للرائد العاني، ان أفكارك هذه تحتاج إلى نقاش وأدلة جديدة، قال: يسرني ان تتفاعل كل الأفكار وأتلقى المزيد من ردود الفعل النقدية. لكي نغتني جميعاً..

مثالية أم انموذجية؟!

وقادنا ذاك التساؤل إلى تساؤل جديد حين قلنا للعاني: فكيف ترسم صورة مثالية للمسرح العراقي، قال:

- لنقل صورة انموذجية وليست مثالية.. فالأنموذج هو المسرح العراقي الذي نريد.. مسرح يرتبط بالناس عمقاً وفكراً وإنسانية مع توفير المتعة والفرحة لهم.. انها كلمات قد تبدو اقرب إلى التنظير منها إلى التطبيق، لكن رجل المسرح يعلم كيف هي مؤثرة هذه الحالة.

وقد يبدو لأول وهلة ان تحقيق كل هذه المؤشرات أمر صعب لكنني أقول ومن خلال تجربة أربعة وأربعين عاما على اختلاف ظروفها وتباين

إدراكي لها.. ان المسألة تكمن في الفهم الحقيقي والإيمان الأمين بالمسرح رسالة وثقافة وفرحا.. فحين نفكر أننا سنقدم مسرحية فان علينا ان نتساءل ما الذي سنضيفه لمشاهد المسرح، ما الذي سنوفره له من مسرة وأمل في نفسه؟

أما ان نجعل العملية المسرحية حدثاً آلياً، تتلاعب بالمشاهد لنثيره ونضحكه على كل الأشياء حتى على ذاته وإنسانيته فأن ذلك يبتعد عن كل قيم المسرح النبيلة والشريفة وتلك حالة من حالات الابتعاد الكلي عن فنية المسرح وجوهره.. ان المسؤولية الفنية والتربوية والأخلاقية والسياسية تجعل المسرحي المسؤول يضع أمامه كل المسؤوليات مجتمعة ليضيف إليها إبداعات خلاقة ترسم الوهج والجمال في كل جوانب الخلق المسرحي.

إن هذا التصور ليس جديداً على مسرحنا العراقي فإذا أردت ان أسجل بعض النماذج فأستطيع ان اذكر القليل مما أشرت إليه النخلة والجيران، البيك والسائق، الحصار، جلجامش، الأشجار تموت واقفة، بغداد الأزل، فيت روك، الشريعة، مجالس التراث، بيت برناردا البا، الإنسان الطيب، الملك لير، الإنسان والحجارة، ترنيمة الكرسي الهزاز.. وعشرات المسرحيات الأخرى التي لا يتسع المجال لذكرها هنا!

الجيل المسرحي الجديد؟!

● وما علاقة هذا المسرح الانموذجي الذي تتخيله بالجيل المسرحي الجديد، وما حكمك القاطع به؟

- ان الذي يديم إصرارنا على السير في الدرب الذي بدأناه، إيماننا

الكامل بالهدف الكبير الذي زرعناه في نفوسنا وعقولنا وقلوبنا منذ بدأنا نقف على المسرح لنقول أنبل كلمة، ونعطي أعمق قيمة لكن مما يزيدنا إصراراً هذا "الخلف" الصالح من شباب مسرحنا الذين توارثوا تلك القيم، إصراراً وفهماً..وإدراكاً لأهمية التواصل وتطوير الحالات التي قد يركن إليها بعض الجمود، ان الحماسة الفائرة والصدق في النية والجهد الذي يبذله هذا الجيل والجيل المستقبلي يشير إلى الأمل الكبير.. يدعونا لأن نرعى هذا الجيل وان نغني شباب المسرح وان نشجعهم وأن نتفاعل بهم ولأن نشعرهم بهذا التفاؤل، ومن خلال هذا الحرص علينا أن لا نبخل بالتوجيه المتواصل، فالحماس وحده أحياناً بدفع الفنان الشاب إلى شطط ربما غير مقصود أو غير مدرك يوقعه بعثرات، وقد تأسره الشكلية والبريق وحدهما.. ومن هنا لابد لهذا الجيل وشباب هذا الجيل من التزود بالمعرفة الحقيقية وبالتعمق فيها وبالولوج إلى جذورها كي يأتي الإبداع متوازياً مع ذاك البعد الذي لا يمكن تطويره إلا بالوعي والفهم اللذان أشرت إليهما.

إن مهرجان المسرح العربي الذي عقد ببغداد ١٠ - ٢٠ شباط ١٩٨٨ أكد لنا جوانب الإبداع في هذا الجيل بل وشباب هذا الجيل.. وهذه الحالة تدعونا لأن نحرص عليهم ونمدهم بكل ما لدينا من إمكانيات الاغناء والتشجيع.

لا اذهب بعيداً فأقول أو انقل ما قاله نقاد كثيرون من اشقائنا عرباً أو مسرحيين زارونا وشاهدوا بعضا من مسرحنا أو التقينا بهم في مهرجانات مسرحية ليتعرفوا علينا وعلى مسرحنا.. وحتى بالنسبة لمسرحيين من أقطار أوربية اتيحت لهم فرصة الإطلاع على مسرحنا..

وهنا أسجل "بعضا" مما قاله وعبر عنه فنانون مسرحيون أشقاء جاءوا إلينا لحضور مهرجان المسرح العربي الذي أشرت إليه فلقد اجمعوا على أن مسرحنا بخير وأنه في الطليعة، وأنه بكل اختصار أمل المسرح العربي!! والذين (قالوا هذا) مسرحيون لهم مستواهم وسعة إطلاعهم وصعوبة اقتناعهم بما يشاهدون. أستطيع ذكر بعض منهم: الفريد فرج، جلال خوري، فاروق عبد القادر نبيل بدران، سعد اردش، احمد الطيب البلع رضا خوري نبيه العظمة، كريم بو رشيد، منى نور الدين المنصف السويسي، نهاد صويلحة، سمير سرحان.. أما الأجانب الذي زارونا في فترات متفرقة أو شاهدونا في أكثر من مهرجان فقد أشّروا على علامات مضيئة في مسرحنا لا يمكن إنكارها في انها إشارات نحو مسرح متقدم ومتطور وجديد أحيانا!

وأدلة العاني كثيرة أيضاً سيقولها في جزء آخر من الندوة، ثم رفع رأسه وقال.. وهذه هي فرصتي لأجدد حبي لكل جيل تشده المبادئ إلى مسرح المبادئ!

التقينا ولم نفترق..!

خليل شوقي

ليس من الأمور السهلة ان اكتب من خلال هذه السطور، عن زميلي يوسف العاني، أو حتى عن علاقتنا منذ عام ١٩٤٨، إذ يتطلب ذلك الكثير من الحديث والتحليل وعلى مستويات مختلفة، فنية وشخصية، وهنا اكتفي بالرجوع إلى الأيام الأولى فمسيرة العاني عبر سنواته معروفة، من خلال أعماله الفنية المتشعبة وكتاباته وما كتب عنه أولا بأول، وهو جدير بذلك، وهذه حقيقة لا يمكن إغفالها أو نكرانها... اذكره شاباً نحيفاً أنيقاً أجعد الشعر كثيفه. يوم كان طالباً في كلية الحقوق ومن مؤسسي "جمعية جبر الخواطر" في الكلية ذاتها.. وعام ١٩٤٨ يثير في نفسي كثيراً من الشؤون والشجون وأنا اتدرج في الكتابة. ويلف خاطري عنفوان تلك السنوات يوم كان الشباب الرجال تهد هممهم الجبال.

هي المقهى، الكافتريا، المقابلة لكلية الحقوق وحيث تكتظ بالطلاب في فترات الاستراحة، تتداخل الأصوات بعضها ببعض في حوارات ونقاشات سريعة، وكلما استنكرتها، أحسست أنها كانت ذات معان عالية.. وفي زاوية من هذا المكان الذي يديره اخي وكنت أعاونه،

ارتكنت شلة في أيديهم مسرحية "مجنون ليلى" الشعرية لأحمد شوقي، أثار تجمعهم حول المسرحية فضولي.. سألتهم؟

انتم طلاب قانون، فما علاقتكم بالمسرح!

تبادلوا النظرات، ابتسموا..

- نحن جمعية جبر الخواطر، نعتزم إقامة حفلة سمر للكلية..

قلت: ان باستطاعتي معاونتكم ان رغبتم، فأنا طالب في الصف الرابع في معهد الفنون الجميلة.. استبشروا ورحبوا، وفرحنا.. وبهذه البساطة انضممت إليهم: مخرجاً وممثلاً، ومصمماً وكهربائياً، مدفوع الأجر.... ومما اذكر أن يوسف وفي كل حفل كان يرتدي قميصاً جديداً من نوع "الآرو، وهو من نوعية معروفة يومذاك، وكان يختار الأربطة الحريرية المناسبة، وكما يقال كان "لبّاساً" ومازال!

ومن الأيام الأولى بدأت أتلمس شخصية يوسف المتميزة، الذكية، النشطة، المحركة لكل فعاليات الكلية الفنية.. فهو لم يستأثر بمحبة واهتمام الطلبة حسب، بل الأساتذة، فقد كان يداعبهم ويقلدهم وينتقدهم في حفلات السمر المقامة من قبل جمعية جبر الخواطر، مما جعلني انتبه إلى اهتمامه بالمسرح أكثر من اهتمامه بدراسة القانون... انتهت الدراسة فافترقنا، والتقينا ولم نفترق، واستمرت مسيرتنا ـكان قدرا يشدنا لبعضنا بين حلو الأيام ومرّها، حلو العلاقة ومرها.. ليس بيننا وبين عام ١٩٤٨ إلا غمضة عين وانتباهتها، وقد يكون في بعض الأحيان دهراً محملاً بالتعب والعمل والهموم والصبر على الأيام، يسرها وعسرها.. وجبر الخواطر أملنا دون شك يا يوسف..!

الشغف..

نوري الراوي

كيف تستطيع اليدان أن تسجل تاريخاً، أو ترسم صورة لماضٍ تستذكره بالمعاودة الصافية والود المقيم، دون أن تكون صورة الفنان يوسف العاني أول الصور وابهاها في هذا "الألبوم" الحي الزاخر بالأحداث والمشاهد والدلالات؟..

لكأني بهذه الذاكرة، غير قادرة على الوفاء بهذا الالتزام الأخلاقي حين يكون تقطيع الزمن المتعلق بحلمنا الكبير وبوجداننا الوطني، أتياً في سياق كلمات تشبه نهلات الطائر، لا تروي ظمأ ولا تنقع غلة.

فإذا كان لي أن اصنع ما يشبه "المونتاج" لمشاهد ذلك الحلم الكبير فإنما لأضع الفنان في دائرة الضوء منه. فكم من الحالمين منا من ظل يبحث عن ضوء ينير له أعماق هذه الشخصية الفذة التي رسمت خطاً منيراً في لوحة المسرح العراقي، غير أن أحداً منا لا يستطيع ذلك إلا اقتسم معها رغيف خبز الحياة!.. أصحيح يا يوسف..؟!

مسرح صادق معبر خلاق..

قاسم محمد

إنها أربعة عقود ونصف من السنين، وهو فيها رجل في مسرح، ومسرح في رجل!

جاء الفنان العاني رجل المسرح إلى المسرح من الحياة، تلك الشعبية الأصيلة والعريقة المفعمة بطقوسها المركبة التي تكون فيها كل خطوة إنسانية _فرجة _مركبة من إيقاعات وألوان وممارسات _تمثيل وأداء وألحان وأصوات.. وقيم ترافق مراحل الكائن الإنساني منذ أول يوم يرى فيه النور حتى أخر لحظة وداع ذلك النور.

ولعل المكان الذي نشأ فيه فناننا المتأثر، المؤثر، لعب دوره في حياة وتكوين العاني، ذاك أن مكانه الأثير لديه، كان مسرحاً فريداً من حيث روحه، ومعماره ودلالات رموز الرقعة المعاش فيها وقدسية ارتباطاتها وأدائها وأغراضها الحية المرتبطة بحياة الإنسان. مليئة بأجواء الأساطير البغدادية. لذلك باتت ذاكرة الفنان العاني زاخرة بمئات الشخصيات _ العراقية _العريقة. شخصيات، أصيلة، فقيرة، كادحة، العمل وحده هو القيمة العليا في نمطها وتكوينها وممارستها.

في هذه الحياة وفي هذا المكان كان لطفولة العاني الأولى ـ وقد شهدت معاناتها الأولى مبكرة ـ عشرات الإيماءات والإيحاءات والألعاب التمثيلية، وللفتوة أهازيج وألعاب وحوارات وصراعات. كانت بداية حياة جاءت به هذه الشخصيات إلى المسرح، وجاء هو بها إلينا ليحييها بحب والتصاق قل أن نجد مثلها لدى كاتب أو فنان آخر في مسرحنا. بسمات هذه الشخصيات وأسرار حياتها. اتسمت بها ملامح مسرح العاني، كاتباً وممثلاً. وهذا المسرح مسرح عراقي حق، ومسرح شعبي صادق. ومعبر، وخلاق.

ويتألق البيان..

الشيخ جلال الحنفي

يتميز الأستاذ يوسف العاني - المعدود في جمهرة أقطاب أهل التمثيل في العراق - بأنه يجيد الكتابة في أدب الصور القلمية الذي يعد أدباً قليلاً غاية القلة عدد متعاطيه وممارسيه.

وكنت قرأت له غير مرة كتابات في هذا الاختصاص وجدتها على أدق ما تكون الصورة القلمية تشخيصيا وتعريفا في الشكل والموضوع وسائر أبعاد التوفيق..

ان أسلوب هذا اللون من الأدب ليس بالسهل الهين ولذلك ندر ذوو اختصاص فيه..

فهو أسلوب يعتمد على أدوات لا يملكها مذوقو الكلام ولا نقلة الأخبار ولا مؤلفو المسرحيات ولا مدمنو التاريخ.. إذ الاعتماد في هذا الأمر إنما يكون على الحس المؤهل لسبراغوار النفوس واكتناه كنه الطبائع والدقة التامة في تحليل سير الأشخاص وأحوال الناس..

وان ذلك ضرب رائع من ضروب البلاغة يتميز به "أبو يعقوب" فما يغالبه فيه مغالب، لاسيما حين تكون الصور القلمية صور أفراد من

العامة ممن تثقل على كواهلهم أعباء الحياة، وتتكدس في صدورهم همومها القاسية، فآنذاك يتجلى في الأستاذ يوسف العاني الإبداع ويتألق البيان فيريك من لوحات صورهم القلمية الشيء الذي تنتهي عنده معالم الإعجاز..

* **

وبعد فهؤلاء جيلك أو محبوك يا يوسف، فقد اعترفوا بفضيلتك، وغيرهم شاهدوا تاريخك ناصعاً. وغيرهم.. أثرت على عقولهم فكسبت قلوبهم، وكلهم هؤلاء وأولئك كانوا على مقربة من تاريخك، عندما صحت وكنت خير صيحة حق، وعندما ناديت، فكنت خير نداء لجيل متوثب العزيمة. واعلم انك أديت الأمانة، ثم اعلم.. انك مليون ابتسامة على مليون وجه، فنهنئك قريباً أو بعيداً.. أيها المسافر إلى الحلم أبداً..!

الجوهر السحري..

جبرا إبراهيم جبرا

لقد أوقف الأستاذ الفنان يوسف العاني حياته على المسرح، تمثيلاً، وتأليفاً، وإخراجاً، وتألق فيها جميعاً. وأعطى للخشبة حضوراً في الحياة الثقافية في العراق ما كان ليتحقق بهذا البروز اليوم لولا جهده المتواصل وعطاؤه السخي، مشفوعين بموهبة متفردة. ومكانة يوسف العاني في الحياة المسرحية في العراق تذكر المرء بمكانة جواد سليم في الحياة الفنية، إذ اقترن اسمه وأثره بكل ما هو متميز في المسرح ببغداد، وكان له من الحس التلقائي لما هو عراقي وله خصوصيته في الحياة المحلية جعله يصور، بكتاباته وتمثيله، بعضا من الجوهر السحري المتمثل في الشخصية العراقية، مع ثقافة شمولية جعلت منه احد الرموز الأشد إيحاءً لجيله، وللجيل الذي يترسم الآن خطاه في التأكيد على أهمية المسرح كوسيلة للتعبير عما هو إنساني ونبيل وخلاق في حياتنا اليومية، مع شفافية في القول، وبراعة في الأداء، وفكاهة ذكية، أكسبته شعبية واسعة ووضعته في المقدمة من كبار المسرحيين في الوطن العربي..

قناديل..!

●أشعرني تمثيل يوسف العاني بالذات بأنني شيخ هَرِم رغم شبابي اليافع وشيخوخته اليافعة..

"سعد الله ونوس"

●إنني احسد البلد الذي يمتلك فناناً كالعاني..

"رفيق الصبان"

●في العراق توجد طاقات فنية هائلة أبرزها يوسف العاني الممثل المسرحي المتكامل الذي يتسم بالحضور المسرحي المميز والذي يقنعك بدوره من فرط الصدق والإجادة المبهرة في الأداء..

"سهير المرشدي"

● لقد سمعت الكثير عن الأستاذ يوسف العاني وعن جهاده الطويل والرائد في المسرح العراقي، وان لم يتأت لي أن أراه على خشبة المسرح إلا في ليلتين من العرض الذي قدمته الفرقة العراقية على مسرح القاهرة، واشهد أنه واحد من أعظم الممثلين المسرحيين العالميين الذين

شاهدتهم في حياتي.. ان حيوية يوسف العاني حيوية عاتية.. وهو يشحن المسرح بمجرد وجوده على خشبة المسرح، ويملك من التكنيك المسرحي ومن الموهبة ما يجعله قادراً على تطويع هذا الوجود تطويعاً سريعاً ومتتالياً في عشرات من الحالات الشعورية المتضاربة المتناقضة والمتغايرة..

"الدكتورة لطيفة الزيات"

مجنون يتحدى القدر

مقدمة موجزة

في بدايات كتاباتي للمسرح. لم أكن أفكر إلا باصطياد الأفكار التي تمس الناس من قريب أو بعيد، وأنا في كل ما أكتب اسخر من الواقع الرديء المرفوض. أشير إليه بشيء من المبالغة كي اقرب الصورة وارسم التناقض بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، ومع هذا التصور والتصوير لخلق حالة من الهزل المرّ في أكثر من موقع أو موقف.. ولم أكن اعرف آنذاك وأنا في بداية الخمسينات (الكوميديا السوداء) أو ما اشبه.

كانت الأفكار تتزاحم عندي واقف أمام بعض منها مكتوف اليدين لا أستطيع الإمساك بالقلم كي اعبّر عنها من خلال مسرحية اكتبها او فصل تمثيلي يجسد تلك الأفكار، لقد كانت قدرتي آنذاك عاجزة عن استلهام رسائل الإعداد الفني المتلائم مع الصيغ المسرحية المطلوبة أو الذي يوفق بين هذه الأفكار وبين الشكل الذي يمكن من خلاله التعبير عنها -أي الأفكار-.

واحدة من تلك الحالات التي اختزنتها في نفسي ذلك العجز الذي يحسه الإنسان أحياناً أمام ما يحيط به ليظل متسائلا لماذا يحدث هذا؟ وان الإنسان قاصر عن ان يفسر أسباب هذه الظواهر المؤسية والمؤلمة؟ أم أن قوة متسلطة عليه تشلّ طاقة إدراكه لجوهر مأساته؟

في ذلك الوقت ورغم إدراكي واتساع ما اقرأ من الفكر العلمي الذي أودت به قارئاً وباحثاً على قدر طاقتي.. كنت أعاني أنا شخصياً من أيلام وتساؤلات اطرحها أنا على نفسي.. فمع الرفاهية التي عشت فيها صغيرا ظلت لفترة طويلة من الزمن وفي أوقات لا ادري كيف تقع في إسارها.. أحس بأنني ورغم تجاوز سن الطفولة بحاجة إلى حنان "الأم" فقد فقدتها وأنا تلميذ في الصف الثاني الابتدائي.. ثم فقدت ابنة أختي التي ربتني صغيراً وأنا طالب في كلية الحقوق.. لكن حبي الكبير لها جعلني أحس بجسامة فقدها بالرغم من أنها كانت بعيدة عني لا أراها إلا قليلاً حالة من الرومانسية تُجسّم الأشياء وترسم ظلال العتمة حتى الاختناق.. فيظل منطق العقل على طرف متفرجا أو هكذا كنا نريد له أن يكون!

في درس "علم النفس" الذي كان يدرسنا إياه الأستاذ أحمد محمد خليفة. وهو اليوم الدكتور احمد محمد خليفة أستاذي وصديق العمر رئيس المركز الإقليمي العربي لبحوث العلوم الاجتماعية والذي اشغل وزارة الشؤون الاجتماعية والأوقاف في زمن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر. أقول من خلال هذا الدرس الذي عشقته وأحببته وزاد في تعلقي به والغوص في أعماق سطوره. أستاذي احمد محمد خليفة بقدرته الفائقة وشخصيته الساحرة في إيضاح ما يعسر عملنا وترغيبنا في معرفة كل ما يريد في محاضراته المكثفة والمشوقة والتي تحمل دلالات علمية جديدة علينا.. هذا الدرس أوحى لي بشخصية مصابة بمرض الكآبة يتمثل الأشياء يراها أمامه وهي غير موجودة إلا في مخيلته.. لقد أحببت هذه الشخصية وتمنيت لو مثلتها على المسرح.. هكذا كانت بداية التصور والرغبة في ان اكتبها أو أصورها. أي الشخصية مسرحيا.

المرحلة الثانية إنني تمثلتها تحمل معاناة تساؤلاتي التي أشرت إليها، وأنها تحاسب من تسبب في مأساة إنساننا.. تقف أمامه مسرحيا، تحاكيه تحاكمه، تتحداه. وتمثلت ان هذا الشخص الموهوم الموجود هو القدر، وبدأت اكتب.. لم أكن اعرف _آنذاك _مسرحا اسمه (مسرح اللامعقول) ولا مسرحية هي (مونو دراما) ولا تمثيلاً هو (الممثل الواحد).. لم أكن اعرف شيئاً عن هذا كله، بل ان الأستاذ إبراهيم جلال كتب لي حين كان يدرس في الولايات المتحدة بداية الستينات يقول: أتدري يا يوسف ان مسرحيتك "مجنون يتحدى القدر" هي واحدة من مسرح اللامعقول؟!

لا أريد هنا أن انسب هذه المحاولة التي كتبتها بتاريخ ١٩٤٩/٦/١٩ وقدمتها على المسرح بتاريخ ١٩٥٠/٢/٣ إلى مدرسة من المدارس أو نموذجا من النماذج المسرحية.. لكن مسرحنا العراقي قدّم هذه المسرحية كما يلي:

قمت أنا بتمثيل دور (المجنون)

اخرج المسرحية (خليل شوقي)

صوت القدر مثله (خليل شوقي)

وتولى إدارة المسرحية وتصميم الديكور خليل شوقي نفسه وقدمت المسرحية من قبل (جمعية جبر الخواطر) في كلية الحقوق. على مسرح معهد الفنون الجميلة في بغداد.

إنني حينما أعود إلى قراءتها اكتشف كم كانت محاولاتنا جريئة وجميلة.. وكم كانت في مضمونها ساذجة وبسيطة. ومع هذه الجرأة والسذاجة ترتسم أمامي تلك الرغبة والحماس في اكتشاف حالات جديدة

لم نكن نألفها ولا نعرفها. لنتجاوز ودون أن ندري أيضاً مراحل أخرى يدّعي أصحابها الريادة والتجديد المتطور بعد أن يكونوا قد اكتشفوها أو عرفوها.

وهذه المسرحية التي كتبت وقدمت على المسرح يوم ٣/٢/١٩٥٠ ـ كما ذكرت ـ هي أول مسرحية (المونو دراما) تقدّم في الساحة المسرحية العربية عموما.. فما لدينا من وثائق يؤكد ريادة مسرحنا العراقي في هذا المجال ورغم تواضع المحاولة وبساطتها.

إننا نسجّل هذا الحدث المسرحي وننشر النص كما كتب حقيقة وتاريخا وذكرى كانت ومازالت عزيزة على المسرحيين الذين عاصروا تلك الفترة وساروا في مسارها الجاد والمبدع.

نسجّلها خشية ان تضيع في متاهات النسيان عن قصد أو دون قصد. والحمد لله الذي أبقى لنا في ذاكرتنا وبصيرتنا خزين الحقيقة الذي يرفع البراقع ليشير إلى المواقع الضار منها والنافع!!

شخصيات المسرحية

- المجنون
- صوت القدر، يأتي من بعيد ليقترب!

المنظر

قاعة من قاعات مستشفى المجانين المظلمة.. مجنون نحيف القوام.. رث الثياب، أشعث الشعر، جالس في ركن ليس ببعيد..

المجنون *(في حرارة)* قدر.. قدر.. كل ما حل بي من القدر! ما هذا القدر؟ ليته يكون إنساناً لانتقمت منه شرّ انتقام.. ما أحقرك أيها القدر وأسخفك.. وما اشد خطرك.. خطفت مني ولدي وزوجتي وحرمتني صديقاً عزيزاً عليّ ونكدت عيشي.. وأنت أين؟ من أنت؟ لا أعلم، لا أعلم! تعال أيها القدر تعال.. اهبط إليّ، اهبط *(وصرخ عاليا)*

(أصوات مرتفعة تتعالى من مصدر مجهول.. تطفأ الأنوار فيزداد ظلام المسرح، وتتعالى الأصوات ممزوجة بموسيقى صاخبة وضحكات عالية ساخرة.. المجنون خائف لا يدري مصدر الأصوات، فينتقل من مكان لآخر، خائفا مضطربا..)

"القطعة الموسيقية volca in the night"

المجنون: *(بعد أن تهدأ الأصوات)* من؟ من؟.. من أنت من أنت أيها..

القدر: أنا.. أنا.. أنا القدر *(ضاحكا)*

المجنون: القدر؟!

لم جئت إلى هنا؟

القدر: لأنك أردتني لتتحداني!

المجنـــون: ولكن كيف جئت؟

القـــــدر: جئت.. لأنني.. لأنني.. انا القدر
(يضحك)

المجنـــون: أنت ماذا؟ إنسان؟

القـــــدر: اهذا يهمّك؟

المجنـــون: يهمني جدا..

القـــــدر: (ساخرا) إلى هذا الحد.. إذن فهاك حقيقتي
ولا تلحّ بعد هذا بالسؤال.. إنني.. إنني.. أنا
القدر! (يضحك)

المجنـــون: (متبرما) قل من أنت أيها القاسي..

القـــــدر: أنا الساخر منك.. الهازئ بك..
الضاحك عليك

المجنـــون: ولكن.. لم كل ذلك؟! تسخر وتضحك وتهزأ؟!

القـــــدر: لأنني أنا القدر

المجنـــون: ما أقساك.. ما أقساك

القـــــدر: مسكين أنت.. إنني اسخر واضحك وأهزأ..
لأنني أريد أن نلهو

المجنـــون: نلهو.. لأجل أن تلهو أنت يشقى العالم!

القـــــدر: لم لا؟

المجنـــون: لقد كرهك الناس وسئموك

القـــــدر: ولكنني أحبهم

المجنـــون: تحبهم؟ حاشا أن يعرف الحب قلبك..

القـــــدر: الحب؟.. لم لا؟ لقد جربت العشق ايضا..

المجنون: أنت تعشق.. تعشق من؟

القدر: أعشق ضحاياي!! *(يضحك)*

المجنون: ما أبشعك

القدر: أجمل ما عندي بشاعتي أيها الأبله..

(يضحك)

المجنون: لقد بطشت بي.. وحطمت حياتي الهنيئة..

وسكبت عليّ وتركتني أعاني من الحياة المرّ والويل

والهوان..

ألست الفاعل بي كل هذا؟

القدر: طبعا.. *(يضحك)*

المجنون: أريد مقاضاتك إذن..

القدر: تقاضيني؟ ياللعجب؟

المجنون: ولم العجب؟ الست الظالم وأنا المظلوم؟

ألست الطاغي وأنا الضعيف؟

ألست المسرور وأنا المكروب؟

القدر: ولكنني أنا القدر!!

المجنون: القدر.. القدر.. ما أثقل هذه الكلمة على

سمعي.. أريد مقاضاتك.. أريد مقاضاتك..

القدر: قاضني ولا تغضب

المجنون: ومن يكون القاضي؟

القدر: القدر طبعا!

المجنون: آه يا ظالم.. كيف يكون القاضي هو المجرم؟

القـــــدر: ومن فينا المجرم؟

المجنـــون: أنت

القـــــدر: ولكنك لم تثبت إدانتي بعد.. إنني متهم
فقط.. قل لي ما هي اتهاماتك؟

المجنـــون: اتهمك بموت ولدي الكبير..

القـــــدر: وكيف تثبت ادعاءك هذا؟

المجنـــون: إنه ادعاء لا يحتاج إلى دليل..

القـــــدر: إنني اعترف بذلك، ولكن كيف علمت انني أنا المسبب؟

المجنـــون: لقد مات ولدي الكبير ولا أدري كيف
مات.. وحين سألت عن السبب قيل لي..
قدر.. لم فعلت
ذلك لم..

القـــــدر: قلت لك أريد أن الهو..

المجنـــون: ولكن لم لم تختر مجرما مضطربا أو فاجرا
خليعا.. لم تترك هؤلاء؟

القـــــدر: لأنني أخشاهم

المجنـــون: فأنت جبان إذن..

القـــــدر: قل ما تشاء.. فأنا منصت إليك

المجنـــون: ألست السبب في اختطاف زوجتي
الحبيبة؟.. لقد اشعلت فيها النيران، تركتها رمادا..
ولكن كيف.. ولماذا؟ قيل لي القدر.. آه.. ما
اقساك.. ما اقساك.

لم لم تختر امها الخرقاء وقد هددها الكبر حتى العظم

القـــــدر: أنا حر في تصرفاتي

المجـــنـــون: وهذا صديقي وزميلي الشاب.. اختطفته وطويته على عجل ودفنت معه أحلاما عذاباً طالما رفت في مخيلته.
لم لم تختر أهله وذويه وأصدقاءه. أما في قلبك رحمة؟

القـــــدر: رحمة؟.. وما هي الرحمة؟..
كلمة لا اعرف معناها!

المجـــنـــون: حقاً انك فنان بشع ظالم.. تتفنن في اختيار الوسائل لتصل إلى غايتك، وها انك استعملت وسيلة جديدة مع صديقي هذا *(ساخراً)* ها.. الكهرباء. الكهرباء.. ياله من سلاح جديد..

القـــــدر: *(يضحك)*.. أنه سلاح القرن العشرين!

المجـــنـــون: إنني احتقرك.. احتقرك ولا أخشاك..
سأنتقم منك.. *(يحاول المجنون الهجوم على مصادر الصوت)*

القـــــدر: *(يصرخ في وجه المجنون صرخة عالية توقفه في مكان دون حراك)*..

المجـــنـــون: *(يكلم نفسه)* مازلت أخافك أيها القدر..
ولكن لماذا؟ لماذا؟.. سأنتهز الفرصة عمّا قريب للبطش بك أيها الجبان *(يجلس محطما)*

القـــــدر: *(صوت القدر يتعالى من أكثر من موقع)*..
كم يحلو لي انك بحالتك الجميلة هذه.. وكل دمعة

تخرج من بين جفنيك، قطرة تسكب فوق قلبي فتروي ما فيه من غلة وتطفئ ما به من نار. كم أنا بشقائك.. فرح بعذابك.. خلي بشجوك. أنا سعيد، فليشق الجميع *(يضحك)*

المجنـــون: تضحك؟.. مازلت لا أفهمك

القـــدر: قلت لك إنني القدر.. حقاً انك غبي.. هل لك تهم أخرى؟

المجنـــون: تهم لا تعد ولا تحصى

القـــدر: وما هي؟

المجنـــون: اتهمك بأنك عاطل

القـــدر: عاطل؟ اللهو صناعتي.. والسخرية تجارتي.. والغواية براعتي!

المجنـــون: يا الهي.. أكاد أجنّ..

القـــدر: *(بسخرية)* تجن؟ وهل فيك بقية من عقل حتى تجنّ؟

المجنـــون: *(يسكت)*..

القـــدر: ألست تدري ان على المدّعى إحضار شهوده.. فمن هم شهود إثباتك؟

المجنـــون: لم الشهود وقد اعترفت بكل اتهاماتي؟

القـــدر: ولكنني أنا..

المجنـــون: *(ثائراً)*.. أنت.. أنت.. أنت

"أشباح على الحائط.. تذوب بعد قليل، تمثل نماذج من المجانين"..

القـــــدر: اهذا أحد شهودك؟

المجـــنـــون: لا أدري ربما كان أحد ضحاياك!!

القـــــدر: ها.. لقد عزّ عليك الشهود.. وستخسر الدعوى

المجـــنـــون: لا يثبت لي حق ولن اربح قضية ما دمت حيا.. ليتك تموت

القـــــدر: أموت؟.. أنا الموت!!

المجـــنـــون: *(يحرّك رأسه علامة الاستغراب)*..

القـــــدر: سأصدر عليك حكمي بالخسران

المجـــنـــون: حكمك؟.. لن اعترف بمحكمة أنت حاكمها، ولا بقرار أنت تصدره..

القـــــدر: لقد أصدرت عليك حكمي، ولا يهمّني أرضيت به أم لم ترضى! والآن جاء دوري في مقاضاتك..

المجـــنـــون: أنت تقاضيني؟ بالسخرية

القـــــدر: هبها ما شئت.. ولكنني سأقاضيك

المجـــنـــون: *(يضحك..)*

القـــــدر: لو قدّر لك أن تكون أنت القدر فما الذي أنت فاعله؟

المجـــنـــون: لن افعل الذي تفعله مطلقاً..

القـــــدر: امتأكد أنت من ذلك؟

المجـــنـــون: طبعاً متأكد

القـــــدر: هل تحسب نفسك بريئاً لم تجرم في حياتك قط؟

المجـــنـــون: نعم.. انني لم أجرم في حياتي

القـــــدر: *(يضحك ساخراً..)*

هل فكرت يوماً وأنت تسير في طريقك كم من الحيوانات الدنيا التي تدب في الأرض تميت؟

المجنون: *(يهم بالجواب)*

القدر: لم يخطر ببالك هذا الخاطر.. أليس كذلك؟

المجنون: ولكن..

القدر: لا تحاول التهرب

المجنون: ولكن هذه الحيوانات لا تحس؟

القدر: ومن أدراك بأنها لا تحس؟

المجنون: *(واقفاً)* لأنني لا أعلم بأنها تحس وتشعر.. أما أنت فتدري بالآلام التي تسببها أفعالك لنا، وتقدم عليها دون رحمة ولا شفقة..

القدر: إذا كان هذا وجه اتهامك فكان الأجدر بك أن تقاضي هؤلاء الظالمين من بني جنسك..

المجنون: لا يهمني هؤلاء.. لا أريد مقاضاتهم

القدر: بيد انني سأقاضيك بنفسي، لأنك منهم..

المجنون: أنا.. أنا لست ظالماً.

القدر: كلكم سواسية.. تنشدون العدل وتظلمون.. وتبنون الصلاح وتفسدون.. كل منكم يضع اللوم على غيره، ناسياً أنه شريكه.. لقد فسد المجتمع بفسادكم، وأوشك العالم أن يفسد.. لولا بقية من نور.. اجبني.. ألست واحداً من هؤلاء الناس؟

المجنون: ولكن..

القـــــدر: انظر.. كيف يسقي الإنسان الموت أخاه الإنسان؟
اتذكر ذلك.. هذه الحروب.. هذه المطاحن...
نزوة في نفس أحدكم كفيلة بأبادة شعب بأكمله..
انظر.. هذا الظلم.. هذا الاستعباد..
أأنا الذي انتزعت من قلوبهم الرأفة والرحمة؟
أأنا الذي سلبت من نفوسهم الإخاء والحب؟
أأنا الذي خلعت عنهم ثوب العدل والمساواة؟
لقد أراد الإنسان ذلك فكان له ما أراد!
وأنت تتهمني بأني المجرم الوحيد، ناسياً أن الإنسان هو المجرم الأول..

المجنـــون: لا.. أنت المجرم الأول والأخير..

القـــــدر: وهل تعتقد أيها الأبله.. إنك تستطيع العيش سعيداً لو أني كففت عن أعمالي؟

المجنـــون: طبعاً

القـــــدر: هيهات.. هيهات.. فأمامك الحس والطمع والجشع.. والحقد.. هؤلاء بنو جنسك!

المجنـــون: ولكنني لست منهم..

القـــــدر: ها لقد تجردت عن آدميتك بهذه العجالة

المجنـــون: كفى.. كفى..

(يجلس كالمحطم والقدر يضحك..)

القـــــدر: *(بعد قليل)* اسمع يا.. حقاً ما اسمك؟

المجنـــون: اسمي.. اسمي.. سعيد!

القــــــدر: أسمع أيها السعيد.. دعنا نتفاهم

المجنـــون: مستحيل أن نتفاهم

القــــــدر: مستحيل.. لا مستحيل تحت الشمس..

ألست تدري؟

المجنـــون: قل ما عندك إذاً..

القــــــدر: (يقترب منه) لم لا تكون شريكي؟

المجنـــون: شريكك.. بماذا؟

القــــــدر: شريكي بأفعالي..

المجنـــون: شريك بأفعالك.. أأكون شريك مجرم بجريمته..

كيف أطلب الرحمة وأنا شريك القسوة؟

كيف أرجو العدل وأنا شريك الظلم؟

اذهب.. اذهب.. عليك اللعنة

القــــــدر: إذن دعنا نعقد الصلح..

المجنـــون: كيف؟

القــــــدر: اتركني ألهو ولا تعكر صفو انسي..

أما أنت فسأتركك وشأنك

المجنـــون: تتركني وشأني؟.. وهل أبقيت لي شأنا؟

وهل تركت دورا من أدوارك العنيفة دون أن تمثلها

على مسرح حياتي؟ اذهب.. اذهب..

فلن تستطيع أن تفعل بي أكثر مما فعلت

القــــــدر: ولكني أستطيع شيئاً آخر أيها المجنون..

المجنـــون: ها.. مجنون انك تحسب كل من يتحداك مجنوناً

القــــدر: يا لك من جاحد.. لقد بدأت تنكر نعمتي عليك، لقد أعطيتك نعمة الجنون.. تلك التي خففت من شقائك والآن أستطيع أن أرجع إليك العقل.. بل أعطيك حساً مرهفاً تشقى به وتتألم.. لا تفوتك مأساة من مآسي الحياة، فتشقى بها وتشقى بحسك..

المجنــون: لقد جربت كل المصائب

القــــدر: شقاء الإنسان ليس بقدر المصائب.. بل بالإحساس بها

المجنــون: لا أفهم ما تقول

القــــدر: لأنك مجنون!.. وأستطيع أن أزيد شقاءك شقاءاً آخر.. أتدري كيف.. أعطيك مجداً فيكثر حاسدوك وأعداؤك ويزداد عذابك وشقاؤك.. بل أستطيع أكثر وأكثر.. ها.. ما رأيك؟ أما أستطيع..

المجنــون: *(وقد بدت عليه علامات الخوف)* قلت لك لن تستطيع.. اخرج.. اخرج..

القــــدر: *(ضاحكاً)* ولكنني أستطيع..

المجنــون: *(صارخاً)* لن تستطيع..

القــــدر: *(يهم بالخروج حيث يبتعد الصوت)* ستبدي لك الأيام.. ستبدي لك الأيام

المجنــون: *(يحدث نفسه)*

ستبدي لي الأيام.. ماذا.. ماذا؟

(يهجم على القدر ليلقيه أرضاً وهو يصيح) لقد مسكت بك سأنتقم منك.. سأنتقم منك!

"تطفأ الأنوار بالتدريج وصوت المجنون مازال ينادي سأنتقم منك.. ثم يُنار المسرح ثانية.. وإذا بالمجنون وحيداً وإذا بالقدر خيال لا وجود له!!"..

آه.. أين أنت؟.. أين..

"مع نفسه وكأنه يخاطب الناس" لقد أردت أن انتقم من القدر.. ولكنه سخر مني:

"يضرب على الأرض.. ويصرخ مع قهقهات عالية"..

- موسيقى -

/ستار/

الصرير

المكان - في طرف بعيد بعض الشيء عن المدينة

الزمان - يوم تقديم المسرحية على المسرح

الوقت - صباحاً وقد أشرقت الشمس على كل ما في الدار عدا صاحبها

شخصيات المسرحية

هو - متقاعد تجاوز الستين عاماً يعيش وحيداً
في بيته

هي - سيدة متقاعدة كانت زميلة ل (هو) خلال فترة الوظيفة

المنظر

بيت قديم وبسيط يكاد يكشف عن كل محتوياته، ففي جانب منه تبدو كل أدوات المطبخ واضحة، وكذلك المخزن الصغير ـ الدولاب، تبدو الصحون والعلب في داخله واضحة للعين.

في الجانب الثاني طاولة كتابة وكرسي قديمان، أمامهما أريكة قديمة وكرسي قديم أيضاً وطاولة في الوسط تشارك كل أثاث البيت في العتق!.. شباك يطل على حديقة مهجورة، صورة سيدة معلقة على الحائط، مدخل ضيق إلى غرفة النوم، وباب من "ضلفتين" تؤديان إلى باب الدار.

صمت يسود المكان.. وحين تسطع الشمس لتملأ كل المكان، يخرج (هو من غرفته بهدوء.. يبدو مقطب الجبين، لا حياة فيه، يقترب من الباب فجأة وبحيوية غير اعتيادية يضغط على ضلفتي الباب ثم يتركهما يتأرجحان وصرير حاد يتعالى جراء هذه الحركة، تتغير كل أساريره ويصرخ بأعلى صوته كأنه طفل لاعب يخاطب العالم كله..

هــــــو: صباح الخير أيتها الحياة، يوم سعيد أيتها الدنيا..
(يلتفت إلى ضلفتي الباب) أدامك الله أيها الصرير،
فما دمت موجودا فأنا موجود!
استمر بموسيقاك فأنت علامة حياتي ووجودي
(يقترب من الطاولة التي وضعت عليها
بعض الدفاتر والكتب)
لنبدأ الآن يومنا الجديد، نكتب ما تبقى من وقائع
الأمس الذي مضى!
(يجلس على الكرسي، ويخاطب الباب
الذي تتحرك ضلفتاه)
حين تتعب وينقطع صريرك ناديني كي تحيا معي من
جديد.. صداك يظل في رأسي فترة طويلة، وحين
يذوب سآتي إليك كالعادة. (يتأمله)..
هل أنت غاضب؟
اسمعني، ان أغفلتك فسامحني، رأسي محشو بأحداث
هامة عاشت معي، بمعزل عنك.. النوم يا عزيزي
العذول الوحيد الذي يعزلني عنك..
(يتأمل الباب قليلاً)..

آوه! يبدو انك تعب هذا اليوم.. صوتك فيه حشرجة غريبة..

(ينهض ليحرك الباب عدة مرات ثم يدفع ضلفتيه بقوة، ويتركها والصرير يتعالى في أرجاء المكان..

يعود إلى العمل، وبعد أن يجلس قليلاً، يتذكر فجأة..)

أوه! نسيت ان أشطب اليوم الذي فات..

(يأخذ القلم ويشطب تاريخ يوم أمس

من التقويم المعلق على الحائط..)

راح يوم.. نحن الآن في ....

ما شاء الله! الأيام تجري بسرعة وحيوية..

انها تتسابق معك

(يشير إلى الباب) انها تستقطع من رصيد حياتنا، ضريبة تقاعدية *(يضحك)*..

(يبدأ بأداء حركات رياضية على إيقاع الصرير، وهو يردد مع حركاته..)

واحد، اثنين، ثلاثة..

العقل السليم في الجسم السليم..

(يصرخ فجأة) آخ *(يمسك مكان الألم)* ما هذا؟، ليس عجزا، ربما عضلة أصابها الاسترخاء، لقد نسيت ان أمارس رياضتي الصباحية أمس وأمس الأول..

(يظل ممسكاً بجنبه وهو يحدث الباب..)

ذكرني أيها الصرير حين أنسى أداء تماريني الرياضية، أرجوك.. *(يحاول مرة أخرى أداء تمارينه الرياضية..)*

لا، هذا يكفي، مجرد تذكير العضلات بالحياة والعمل يكفي... *(يخاطب الباب)* أليس كذلك.. *(يقلد صرير الباب ويضحك، يتقدم إليه ليبعث فيه القوة ويعود الصرير عالياً، ويعود هو إلى العمل..)*

لأكتب قبل ان تسقط بقايا الأسس من حسابي على غفلة مني.. من أين أبدأ؟

(يتعالى صوت غريب، يضع القلم على الطاولة)..

ما هذا الصوت؟ ها..

(يقترب من الباب).. لا الصوت هنا طبيعي..

(فجأة ينتبه إلى مصدر الصوت ويضحك بصوت عال حتى يوشك ان يختنق..)

هذا صوت معدتي! انها تقرقر، معدتي تقرقر

(يضحك)

لا أنا اليوم في حالة غير طبيعية!

كيف نسيت تناول البانزين!

عفواً.. الفطور كي أعمل.. السيارة لا تعمل بدون الفطور، عفواً بدون بنزين!

الصحة تاج على رؤوس الأصحاء..

(يذهب إلى الطاولة التي وضعت في الوسط ليرتب فطوره..) قهوتي المرة المفضلة..! *(يفتح العلبة)* ها!

نسيت ان اشتري القهوة، نفدت أمس، "يلله"! آكل لقمة من الزبد مع المربى..

(يزيل غطاء صحن صغير فيه الزبد وآخر فيه المربى)

الزبد موجود، والمربى موجودة، والخبز موجود، وصرير الباب موجود.

فأنا فوق الموجود. لابد من الإسراع في الأكل لأعود إلى تسجيل يومي كاملاً، في دفتر الحياة..

(يأكل بسرعة) سأسكت صوت الجوع المتوحش..

سخيف من قال: الجوع امهر الطباخين! الجوع يجعلك تلتهم كل شيء اللحم النيء! أعوذ بالله.. الجوع يفقدك القدرة على الاختيار..

(يمسح يده ويعود إلى طاولة الكتابة، يدفع ضلفة واحدة من الباب، ينتبه إلى فعلته ويضحك.. يمسك بالضفلة الثانية).. لا تزعلي! لقد نسيت، بدون قصد مني..

ها.. *(يحرك الضفلة الثانية ويجلس متهيئاً كلياً للكتابة..)*

(يفتح دفتره السميك ويمسك القلم وكأنه يدخل عالماً آخر حين يبدأ الكتابة..)

أمس كان نومي قلقا، لم أغف كعادتي بعد دقائق من ملامستي الوسادة.. ظلت كوابيس تلفني وتطوقني حتى أحسست انني قد ذبت فيها، وللحظات فقدت ذاتي وكأنني أنا الحلم وأنا النوم وأنا الغائب

في أبدية لا أرى منها إلا غماماً

يسبح في فضاء اصغر.. فجأة وجدت نفسي هنا في البيت كما أقف الآن.. *(نراه واقفاً بينما سادت ظلمة لا نرى من خلالها شيء في المكان الذي كان يجلس فيه للكتابة..)*

انبعث شعاع من الضوء من خلال الشباك.. سمعت تغريد طائر لم أره أول الأمر.. بعد قليل كان الطائر يحلّق أمام الشباك. كان طائراً جميلاً، يحرك جناحيه بقوة كأنه طائر النورس، كان أصغر منه وأجمل منه، كان مزدانا بألوان خلابة، كأنه من طيور الحب.

تقدمت إليه، ظل مرفرفاً بجناحيه.. ينظر إليّ وينقر زجاج الشباك ويغرد.. فرحت كثيراً وفتحت له الشباك ليدخل..

ظل محلقاً أمامي لحظات وأنا ادعوه مبتسماً ليدخل، كان بإمكاني ان أستضيفه أقدم له الطعام وأخصص زاوية من البيت له وحده... فجأة استدار وطار، حاولت ان ادعوه ليعود.. لم يلتفت إلي بل غاب عن ناظري خلال لحظات قصار..

ظللت قرب الشباك انتظر عودته.. لم يرجع، وانتظرت وانتظرت، لم يعد! أوشكت ان ابكي.. أحسست ببرد يلسعني، أردت أن العن الطائر الجميل وأعود إلى فراشي أو أذهب لأحرك ضلفتي الباب من جديد.. لم

أجرؤ على شتمه! تركت الشباك مفتوحاً فقد يغير رأيه ويعود ثانية وربما دخل بلا استئذان..

عدت إلى فراشي.. وغفوت بلا أدنى جهد..

أوشكت ان أنسى الطائر الجميل، وفجأة شاهدت جناحيه يرفرفان بلا صوت كأنما ينثران عليّ نسمات حلوة.. شيئاً فشيئاً راح الطائر يقترب..

(نعود إلى مشاهدة ـهو ـقرب الشباك) لم يكن الطائر نفسه،كان يحمل وجوهاً كثيرة عرفتها أحببتها فارقت بعضها وجوها أخرى لا أعرفها، فجأة.. غابت كل الوجوه.. وظل وجهي

يتطلع إلى لا شيء!

غفوت مرة أخرى..

وفجأة أيضاً.. اطل وجه واحد من بين الوجوه، كان وجها غير واضح من بين كل الوجوه، لم اعرفه حين عاد الطير بكل تلك الوجوه..

كان بلا وضوح.. كأنني ولا اعرفه.. ثم غاب أيضاً وظللت أتقلب في فراشي حتى غفوت بلا صورة وبلا حلم وبلا نوم.. وأحسست انني ابكي أبكي أبكي..

(يعلو بكاؤه الحار.. ثم تسقط حزمة ضوء عليه وهو يضع القلم جانباً ويبكي.. بعد لحظات يرفع رأسه بقوة..)

أوه، لقد تبللت أوراقي! ما هذا الضعف والخروج عن الحلم

من الذي يبكي، أنا في نومي، أم أنا في يقظتي؟!
أوف لأكتب جملة واحدة في آخر الصفحة..
ماذا اكتب ماذا أكتب..؟ ها..
(يكتب).. طار الطائر ولم نطر معه!!
أوف.. (*يبدو عليه التعب ويصمت للحظات قصار، ثم ينهض ليحرك ضلفتي الباب ويجلس حيث يمتزج الصرير مع موسيقى تنتهي بضربة حادة يعقبها صوت جرس الباب بحشرجته الواضحة.. يفزع من الصوت*).
ماذا؟ صوت الباب..؟
(*صوت جرس الباب ثانية!*)
ها.. الجرس، من الذي يأتيني؟ والآن بالذات؟ لم أتفق مع أحد لزيارتي منذ....
(*يرن الجرس، مرة ثالثة.. يركض ليرتدي - الروب - الموضوع على بعد منه وهو يردد..*)
لقد دفعت قائمة الكهرباء والماء.. منذ ايام، هل هناك ضريبة جديدة.؟
(*يصل إلى الباب، يفتحه، صوت عال يرسم لنا قوة المفاجأة..*) مستحيل.. انت.. مستحيل!!

هـــــي: دعني اسلم عليك قبل ان تصرخ لتذكرني بصوتك حين كنت تثور أو تصرخ..
(*تلتفت إلى الباب وهي تمر من خلال صريره..*)
(يدخلان).. كنت نائماً؟ هو: أبداً.. كنت....

هـــي: أطرشا؟.. ثلاث مرات يرن جرسك الشائخ وأنت لا تسمعه.. ماذا يعني هذا؟

هـــو: يعني أنني لم أكن أتوقع من يزورني الآن..

هـــي: لماذا؟ هل قاطعك الناس أم قاطعتهم أنت؟

هـــو: لا، أنا أعيش وحيداً كما تعلمين، وأحياناً أخرج لأتمشى..

هـــي: مازلت تحب المشي؟

هـــو: ليس حباً وإنما جزء من حياة لابد ان تستمر..

هـــي: أنا امشي أيضاً وأزور بعض الأصدقاء والجيران يزورونني

بيتي يقع في منطقة يعيش فيها عدد كبير من الناس..

هـــو: أنا لا..

هـــي: *(تضحك من الشباك)* مازالت هذه الحديقة على حالها منذ..

هـــو: منذ أكثر من عام.. لم تزوريني منذ أكثر من عام.

هـــي: مرة زرتك.. ولم تكن في البيت.

هـــو: ربما كنت في دائرة التقاعد..

هـــي: لا أدري.. هذه المرة لو لم تفتح الباب لسألت عنك وتأكدت من وجودك..

هـــو: أنا موجود.

هـــي: قلقت حين ضربت الجرس مرتين دون ان ترد عليّ.. خفت..؟

هـــــو: من أي شيء.. ؟

هـــــي: الأعمار بيد الله.. (تضحك)

هـــــو: لا، مازلت حياً والحمد لله.. وانت. ؟

هـــــي: مازلت حية والحمد لله.. وما زال أبنائي وبناتي يكتبون لي بين الحين والآخر، وأحياناً أزورهم، كل واحد منهم يشتغل في مدينة تبعد عني ساعات..
مرة قرروا أن أكون معهم بالتناوب، فرحت لهذا القرار لكنني لم أنفذه.

هـــــو: لماذا ؟

هـــــي: أريد أن اعتمد على نفسي.. فما زلت قادرة على ان اكون شيئاً ذا قيمة تفيد الناس وتفيد الأرض..
وتبتهج بسعادة أبناءها.. لا أريد أن أكون جزءاً صغيراً من كل..

هـــــو: ما زلتي تتفلسفين كما كنت..

هـــــي: لا.. أبداً، أولادي اعتادوا الحياة في إطار عائلاتهم الصغيرة
لا أريد أن أغير عليهم صيغ تلك الحياة.. انهم سعيدون بها.. وأنا سعيدة بحياتي..

هـــــو: الا تشعرين بوحشة أحياناً؟

هـــــي: أحياناً؟ نعم اشعر بها و....

هـــــو: وماذا ؟

هـــــي: اهوو.. جئت لزيارتك أم جئت لكي اكشف لك عن حياتي الخاصة؟

هـــو: هل في ذلك ضير؟

هـــي: لا، فأنت تعرف عني كل شيء.. منذ ان كنا..

هـو وهـي: زملاء في الوظيفة..

هـــو: صحيح. لكن الأيام كلما زحفت تصبح ذات طعم غريب لابد من اكتشاف ما وراءه أو ما...

هـــي: أو ما خلفه! *(تضحك)* بدأت تفلسف الأشياء على خلاف عادتك..

هـــو: ليست فلسفة، بل شرحاً لأمور نعيشها.

(صمت بينهما)

هـــي: لقد تغيرت كثيراً..

هـــو: كيف.؟

هـــي: كم مضى من الوقت وأنت لم تقدم إليّ فنجان من القهوة يا بخيل ويا عديم الأصول ويا....

هـــو: لا تقولي يا.... اعرف هذه الصفة وكم تخاصمنا لأنك ترددينها أمامي وأمام بعض الأصدقاء.

هـــي: كانت تغيضك بالأمس.. أما اليوم فقد تحسبها دعابة..

أين القهوة؟

هـــو: لحظة. *(يذهب ليهيء لها القهوة..)*

هـــي: أتدري انني كنت عازمة على زيارتك عند عودتي من المدينة..

هـــو: *(ينتبه على عدم وجود القهوة..)*

هـــــي: *(مستمرة في حديثها)* الباص وصل إلى هنا فاكتشف السائق
ان الماكنة لا يمكن أن توصلنا إلى المدينة، لابد من تغيير آلة لا أتذكر اسمها، وهذا يقتضي الاتصال بمحطة انطلاق الباص لترسل له هذه الآلة وعلينا أن ننتظر ساعة على أقل تقدير حتى تصل. قلت لتكن الزيارة خلال فترة الانتظار هذه،
عصفوران بحجر واحد..

هـــــو: أنا عصفور..؟

هـــــي: *(تضحك)* بشرفك أنت عصفور؟ كنت تحب العصافير وتصطادها، أتذكر..؟ كنت تروي حكايات اصطيادك للعصافير خلال فترات....أوه! نتحدث كأننا في بداية شبابنا *(تصرخ)* أين القهوة؟

هـــــو: لا توجد عندي قهوة، كنت انوي شرائها.. قبل ان تأتي..
سأذهب حالاً وأعود خلال دقائق..

هـــــي: لا، انس القهوة..

هـــــو: بالعكس، لم اشرب قهوتي.. لنشربها سوية.. أتذكرين؟
كنت تقرأين لي حظي..

هـــــي: اقرأها بالمقلوب لكي أثيرك..

هـــــو: دعيني أجلب القهوة أولا.. وسأعود حالاً..

هـــــــي: مازال يتحرك كطفل صغير!

(تتمشى في أرجاء المكان، الصورة المعلقة تثير انتباهها، تقترب منها وبعد تأمل لها مع موسيقى حلوة، تخاطبها بحنو) كنت جميلة حقاً.. وبقيت جميلة حتى آخر يوم حياتك، كنت تتمنين أن تكون لك ابنة اجمل منك.. وابناً يتجاوز أباه في كل حسناته..

لم تنجبي الطفلة ولا الطفل، كانت المرارة تأكله..

الله، كأنني أعيش ذاك اليوم، جاءني يقول ما رأيك؟ سأتزوجها.. هي الفتاة التي أحلم بها،

جميلة هادئة جذابة..

كنت في حيرة، كنت أحبه وكنت احبك، كان بيننا صديقاً نعيش معه الساعات بفرحة كأننا شركة..

كان يجب أن تكون واحدة زوجتك والثانية

تظل صديقة له ولك..

كنت أجمل مني.. لكنني كنت أحبه.. وكنت تمزحين معي ومعه وتحسبين ان الشركة بيننا نحن الثلاثة ستظل هكذا.. كانت مفاجأة لك حين جئت أقول لك أنه يريدك زوجة.. لقد كضمت حبي وأحسست بغصة وبفرحة في آن واحد.. لكن الغصة لم تدم طويلاً، فقد واجهت الواقع كما يجب أن يكون.. وتزوجت وصار الحب ذكرى ككل الذكريات الحلوة معه ومع أصدقائنا وصديقتنا.. الله ما أحلى أن يعود الإنسان إلى

ذكرياته بلا موعد.. ليته يغير حياته الرتيبة..
لكي يعيش بلا ضجر.
(يتقدم فتحاول الاستماع إلى الراديو.. دون أن تسمع شيئاً...) عاطل.. *(تطل إلى غرفته..)*
من يرتب بيته؟ غرفته؟ ربما تأتيه امرأة أو رجل
(تنظر إلى مكان الطاولة) سأغير مكانها..
(تجلبها قرب الشباك) هنا أحسن..
(تجلس على الكرسي تتأمل المنظر من خلال الشباك)
على الأقل يواجه الطبيعة.. أخشى أن يتأخر..
سأسخن الماء..
(تذهب لتهيء الماء الحار)
كان يرفض ان يشاركه أحد في تهيئة القهوة..
(بعد قليل تطفئ نار الطباخ.. ثم تعود لتطل على الغرفة مرة أخرى..) (تقترب من ضلفتي الباب وحين تحركهما يبدو عليها الانزعاج من الصوت..) ما هذا؟ صفارات إنذار.. *(توقف الباب، ثم تحركه مرة أخرى، فيعلو الصوت.. تنظر إلى أرجاء البيت، ثم تقلب الحاجيات المتجمعة في الزاوية التي هي مطبخ صغير.. تمسك بدورق صغير..)*
زيت..! سأصلح الباب وأخلصه من هذا الوجع البيت..
(تخرج قطعة صغيرة من القماش تنقعها بالزيت وتبدأ بمسح أماكن الاحتكاك، محركة ضفلتي الباب عدة

مرات حتى يذوب الصوت نهائيا، لحظات
ويعود هو حاملاً القهوة..)

هـــو: دقائق وتكون القهوة جاهزة..

هـــي: الماء حار..

هـــو: شكراً.. قليل من السكر؟

هـــي: قليل جدا

هـــو: يسمونها على الريحة!

هـــي: سمها كما تريد..

هـــو: آخ!

هـــي: ماذا؟

هـــو: نسيت أن اشتري سكاير

هـــي: لمن؟

هـــو: لك..

هـــي: تركت التدخين منذ ثلاث سنوات.. نسيت؟

هـــو: أنا تركته أيضاً قبل عام فقط

هـــي: انتبه إلى القهوة.. إذا سقطت نقطة من الفنجان في الصحن لا أشربها..أتذكر؟

هـــو: أذكر.. كم مرة لعنت الفرّاش حين كانت يده ترتجف وأنت تحسبين ذلك اهمالاً منه..

هـــي: لقد اعتذرت منه حين عرفت السبب.. أحياناً أتذكره حين ترتجف يدي.

هـــو: يدك ترتجف؟

هـــــي: حين أكون متعبة.

هـــــو: ولماذا تتعبين نفسك؟

هـــــي: لا أدري.. أحياناً اتعب خارج إرادتي

هـــــو: لا، لابد أن تكون إرادتك أقوى من التعب..
حرام ان تتعبي نفسك، لم يعد هناك ما
يدعونا إلى أتعاب أنفسنا..

هـــــو: إلاّ شيء واحد؟ من أجل الذين يستأهلون هذا التعب..
(تصرخ..) القهوة..

هـــــو: آخ..

هـــــي: أوشكت ان تنسكب

هـــــو: دفع الله ما كان..
(يسكبها في فنجانين)
هذه أفضل قهوة تباع هنا.. جربيها، وإذا أعجبتك
اشتري لك كمية منها..

هـــــي: أنا آخذ قهوتي من المدينة بين شهر وشهر،
كلما ذهبت لاستلام (التقاعد) أعود ومعي
حاجياتي الضرورية..

هـــــو: اسمعي.. لماذا لا نذهب سوية لاستلام راتب التقاعد..

هـــــي: يجب ان نتفق على يوم معين، أول يوم أو ثاني يوم،
على كل.. لو كان عندك تلفون لاتصلت بك *(تشرب
القهوة)* طيبة! مازلت تحسن صنعها، كنت أبرع من
يصنعها بين كل موظفي وموظفات الدائرة...

هـــــو: ما عداها.. *(يلتفت إلى الصورة المعلقة على الحائط)*

هـــــي: ما عداها! *(فترة صمت)*.. كم الساعة؟

هـــــو: لم تمض نصف ساعة..

هـــــي: عليّ ان اذهب قبل موعد مغادرته بفترة قصيرة..

هـــــو: مازال أمامك متسع من الوقت.. *(يغير الموضوع فجأة)*..

بالفعل هنا الطاولة أجمل..

هـــــي: تغيير بسيط.

هـــــو: مازلت على عادتك، تغيرين مواقع الأشياء، أتذكرين يوم جئت للدائرة وجلست على طاولتي المعتادة، فلم أجد من أوراقي شيئاً؟

هـــــي: لم تكن طاولتك؟ نقلتها إلى الجهة الثانية، ووضعت طاولتي مكانها، ويومها انزعجت -جنابك - وحين أعدتها إلى مكانها أصررت على اعادتها مرة أخرى..

هـــــو: كنت أجاملك وأجاملها.. *(ملتفتا إلى الصورة، ثم يغير الموضوع)* تتأخرين في المدينة؟

هـــــي: معاملات بسيطة وأعود..

هـــــو: وأخبار ابنتك التي كنا نسميها القرنفلة؟

هـــــي: بخير وابنتها دخلت الثانوية الفرع الأدبي، تحب المسرح والشعر، وحين تكتب لخالها رسالة تضمنها أبياتاً من شعرها، في الشهر الماضي قضت أسبوعاً معي، كانت تغني قبل النوم، كنت أشم القرنفل من خلال صوتها الجميل..

هـــــو: أنت سعيدة..

هـــــي: وأنت؟

هـــــو: أنا، هذا أنا.. حتى الريح تدخل من شباكي
هادئة بلا صوت.. الزوبعة تمر على طرف مني..

هـــــي: أنت تحب الهدوء..

هـــــو: كنت!

هـــــي: ما الذي غيرك؟

هـــــو: تراكم الهدوء.. أنا اكتب مذكراتي بصوت عال،
كي اسمع صوتي.. أخاف عليه في داخلي
ولا أجده بعد ذلك.

هـــــي: أنت تبالغ

هـــــو: لم تجربي حالتي.

هـــــي: صحيح.. راتبك التقاعدي، يكفيك؟

هـــــو: أشعر أحياناً أنه يكفي لثلاثة من أمثالي.. البيت
الصغير الذي تركه أبي، اسكنه كما ترين.. كان
مهجوراً، أعدت إليه الحياة، فصارت حياته
جزءاً من حياتي..

هـــــي: *(تنظر إلى ساعتها)* لابد ان اذهب.

هـــــو: إلى أين؟

هـــــي: إلى الباص ربما تم تصليحه، وهم ينتظرونني الآن..
شكراً على القهوة..

هـــــو: وشكراً على الزيارة.. كرريها اكثر من مرة..

هـــــــي: سأكررها..

هـــــــو: متى؟

هـــــــي: قريباً.. زرني أنت.. تعرف عنوان بيتي؟

هـــــــو: اعرفه

هـــــــي: زرني إذن..

هـــــــو: بعد زيارتك الثانية

هـــــــي: طيب.. إلى اللقاء..

هـــــــو: إلى اللقاء (يصافحها..)

هـــــــي: *(تخرج..)*

هـــــــو: *(يخرج خلفها.. ثم يعود ويقف وسط المكان.. يقترب من الطاولة يعيد فنجاني القهوة، يلتفت فجأة إلى الباب، مازال يتحرك بلا صوت..)*
ما هذا؟ أين صوت الباب.. لم استمع إليه حتى حين حركته وهي تخرج؟ *(يقترب منه ويحركه)*.. معقول؟ أين الصوت؟ *(يوقفه ثم يحركه)*.. أين الصوت؟ من فعل هذا؟ هي؟ مستحيل! ما الذي دعاها لتفعل ذلك.. ثم كيف تجرأت لانتزاع الصوت منه *(يخاطب الباب)*.. هيا تكلم.. *(يحركه بهستريا)* اسمعني صوتك.. *(يترك الباب على حركته)* سأختنق ان لم تنطق.. صوتك هو الوحيد الذي اسمعه.. حتى الكلاب لا تعوي هنا.. سأنتظر ولكنني لن أستطيع الانتظار طويلاً.. *(يقترب منه)* هيا.. والا سأحطمك..

(يتحرك داخل المكان.. ثم يتوقف) بدأت أخاف..!

يجب ان تنطق.. كيف أصابك الخرس مرة واحدة؟ من فعل هذا؟ *(يحركه بقوة ويقف أمامه كالصنم..)* *(يرن جرس الباب.. يفزع من الجرس..)*

من الذي جاءني.؟

(يرن الجرس ثانية.. يتوجه إلى الباب)..

هـــي: *(تدخل بانفعال واضح..)* هل تصدق انهم يفعلون هذه الفعلة؟

هـــو: ماذا؟

هـــي: أصلحوا الباص بسرعة واخذوا من كان بالقرب منه وتركوا الآخرين!

هـــو: وماذا ستفعلين؟

هـــي: سأنتظر الباص الآخر

هـــو: متى يصل؟

هـــي: بعد ساعة أيضاً

هـــو: سنكون سوية ساعة أخرى..

هـــي: بشرط الاّ تدعني أبقى أكثر من نصف ساعة..

هـــو: أربعين دقيقة على أكثر تقدير.. هل أذهب وأجلب بعض الفواكه، و..

هـــي: أبدا لا تضيع الوقت بمثل هذه الأمور، دعنا نتحدث، وإذا احتجت لمساعدة في تنظيف أو ترتيب البيت فأنا حاضرة..

هـــو: ابدا لا تضيعي الوقت بمثل هذه الأمور، دعينا نتكلم.. ولو بصوت عال..

هـــي: هل عاد الهدوء إلى البيت؟

هـــو: أي هدوء؟ البيت هادئ..

هـــي: اعني هذا الصوت المزعج في حركة الباب؟

هـــو: كيف عرفت؟

هـــي: أنا الذي خنقته!

هـــو: يا الهي! حرام عليك، لم فعلت ذلك؟

هـــي: لم أفعل سوى مسح الأوساخ المتراكمة بقطرتين من الزيت.. عملية سهلة، حاول أن تقوم بها كلما صرخ هذا الباب صرخته النكراء..

هـــو: أنا أقوم بذلك؟

هـــي: عملية بسيطة هل تريد أن أعلمك كيف.. *(تنهض..)*

هـــو: لا.. لا تزعجني نفسك.. أنا أريد هذا الصوت والصراخ كما تسميه، أنه الصوت الوحيد الذي يملأ هذا البيت، وحين يتوقف أحس بصداه من حولي..

هـــي: وعندما ينقطع تماماً؟

هـــو: أحرك الباب مرة أخرى..

هـــي: يعني؟

هـــو: أصبحت بلا صوت..

هـــي: والراديو؟

هـــو: لا اسمعه

هـــــي: لماذا؟

هـــــو: مللت الأخبار البائسة التي تأتينا من أنحاء العالم، مآسي، كوارث، إجرام، قتل، تدمير، مؤمرات، اختطاف..

سأنتظر جفاف الزيت لأعيد الصوت إليه..

هـــــي: مسكين أنت..

هـــــو: هذا أنا.. *(يغير الموضوع)* قولي لي، ماذا ستفعلين في المدينة.

هـــــي: أكمل معاملة إعادتي إلى العمل..

هـــــو: اعادتك إلى العمل.

كيف؟

هـــــي: بامكان المتقاعدات والمتقاعدين العودة إلى العمل إذا رغبوا ذلك..

هـــــو: وهل ترغبين بالعودة..

هـــــي: طبعاً..

هـــــو: لماذا؟

هـــــي: جربت العمل وجربت الحياة بلا عمل والآن اقتنعت بأن الحياة بلا عمل تظل بائسة وفقيرة..

هـــــو: بائسة وفقيرة!

هـــــي: سأذهب لأقدم الطلب ومعي الأوراق والوثائق اللازمة.

هـــــو: ومكان العمل؟

هـــــي: نفس مكاننا السابق

هـــو: مكاننا؟

هـــي: نفس الدائرة..

هـــو: لكنك الآن بعيدة عنها..

هـــي: اذهب بالباص صباحاً وأعود به مساءً..

هـــو: وحدك؟

هـــي: كثيرون يذهبون ويعودون مثلي.

هـــو: لماذا لم تقولي لي انك ذاهبة لهذا الغرض

هـــي: متى؟

هـــو: قبل أن تذهبي وتعودي ثانية؟

هـــي: لم تسألني عن هدفي من زيارة المدينة...

هـــو: ويوافقون بالسرعة على العودة؟

هـــي: لماذا لا يوافقون؟ أحلنا إلى التقاعد وأضابيرنا تمتلئ بالتكريم والتقدير..

هـــو: أضابيرنا؟ من تعنين؟

هـــي: أنا وأنت.. وان كنت أنت رئيس القسم ولم تنصفني في بعض الحالات.

هـــو: (*يضحك..*)

هـــي: اسمع، لماذا لا تقدم طلباً بالعودة.. وربما عدنا إلى نفس القسم.

هـــو: نفس القسم..؟

هـــي: ربما

هـــو: وأعود أعمل وأدقق و....

هــي: وتفرض العقوبات على المقصرين والمخالفين..

هــو: ويمتد حتى المدير العام وربما الوزير..

هــي: ربما

هــو: ربما؟

(فترة صمت..)

هــي: لا تؤخرني.. ماذا تقول؟

هــو: إذا عدت أنت إلى العمل.. وعدت أنا إلى العمل.. نذهب سوية ونعود سوية..

هــي: طبعاً..

هــو: هل أستطيع أن أتقدم بطلب آخر؟

هــي: ماذا؟

هــو: تتزوجيني؟

هــي: عدت إلى مزاجك وطفوليتك..

هــو: تسمين الزواج تصرفاً طفولياً..؟

هــي: أنا الآن جدة!

هــو: وأنا وحيد!

هــي: المهم ان تهيء أوراقك لنذهب سوية في الباص الذي سيصل بعد نصف ساعة أو أقل من يدري..

هــو: سأهيء الأوراق وأعود..

(يدخل ثم يخرج برأسه من باب الغرفة)

إذ عدت إلى العمل وتزوجنا.. سوف لن احتاج إلى صرير الباب *(يقوم بتمثيل الصرير..)*

هـــــي: *(تقف وكأنها تتمثل أثراً غريباً..)*

ما هذا؟ هل أنا في حلم؟ أتفعل الصدفة كل هذا؟

صرير الباب يغير حياتي وحياته مرة واحدة؟ من يدري

ربما يكون واقعنا حلماً وربما حقيقة..

هـــــو: *(يخرج)*.. الأوراق جاهزة.. آخ، لم أكمل تسجيل مذكرات أمس..

هـــــي: حين تعود اكتب مذكرات الأمس واليوم وغداً..

هـــــو: طيب.. بالمناسبة جلبت معي أوراقاً ووثائق أخرى..

هـــــي: أخرى؟

هـــــو: أوراقاً نحتاجها عند.....

هـــــي: عند ماذا؟

هـــــو: الزواج!

هـــــي: مازلت كما أنت عجولاً.. لنذهب قبل أن يفوتنا الباص.

هـــــو: هيا..

(يخرجان.. يعود ليحرك الباب بقوة وهو يضحك..

الباب يتحرك بلا صوت، وشيئا فشيئاً يعود الصرير

إليه، يسود الظلام المكان.. عدا بقعة ضوء مسلطة

على شبح كأنه (هو) عندما تركته (هي)

وصرير الباب يملأ المكان وكأنه البكاء..

الشبح يروح ويجيء بين الحلم واليقظة!).

من الصوت المكتوم إلى الصوت المعلن

قراءة في مسرحية "الصرير" ليوسف العاني

حسب الله يحيى

مع ان النص المسرحي، نص أدبي في حدود القراءة المحدودة باعتبار أنه نص كتب ليمثل ولتتحول شخصياته إلى فعل يتجسد على خشبة المسرح... إلا أن النص المسرحي الجيد، يمتلك مواصفات أهميتها في حالتي القراءة والتمثيل معاً، وأمامنا نصوص المسرح اليوناني ونصوص المسرح الأوربي الحديث وكل تلك النصوص كانت مقروءة أولاً، وقسم كبير منها تحول إلى عروض في مرحلة ثانية.

ومسرحية الصرير ليوسف العاني تحمل قيمتها كنص أدبي مقروء ويمكن أن تشكل قيمة ثانية عند عرضها على خشبة المسرح. وقيمة هذا النص تكمن فيما يلي:

١ - انه يعتمد على حوار موجز دقيق خال من الزوائد والحشو.

٢ - يعتمد البساطة والوضوح من غير أن يسقط في السهولة المسطحة والعبارة المعلومة، والصورة المعروفة، واللغة الثرثارة.

---

* الصرير ، نص مسرحي في فصل واحد نشر في مجلة الأقلام العدد المزدوج (٣ ، ٤) آذار نيسان ١٩٨٧

٣ - النص يحمل قوانين المسرحية ذات الفصل الواحد، التي تقترب إلى حد كبير من القصة القصيرة، حيث لا تزدحم بالشخصيات ولا تتوزع في الزمان والمكان. شخصيتان فقط، ومن خلالهما نعرف واقعاً اجتماعياً يشكل هذا النص ملامحه الخاصة، ويحدد رؤيته الجادة.

٤ - يعالج النص موضوعاً يمر به العراق اليوم.. من غير أن يقع في الإعلام المباشر، والدعوة إلى إلزام الناس بصيغة (العجب!) كما تفعل معظم النصوص التي تتوجه بالنصيحة، وبالتالي تتحول إلى مادة تربوية.

إن يوسف العاني يمتلك تجربة طويلة في التأليف المسرحي باللغة العربية الفصحى والعامية البغدادية... ويدرك تماماً كيف ومتى يستخدم الفصحى ومتى يستخدم اللهجة العامية، فخبرته كممثل ناجح منحته فرصة تحديد هوية شخصيات كل مسرحية بحيث يدرك طريقة نطقها، وطريقة تعاملها مع الآخرين.

ولذلك نجده ينجح في استخدام اللغة العربية الفصحى في مسرحية "الصرير" لا عن رغبة في اختيار الفصحى وإنما لأن شخصياته تؤكد قناعتها للقارئ وللمتفرج على حد سواء حين تتكلم الفصحى.

فالرجل يمتلك إحساسه العميق بالأشياء.. وهو يستطيع أن يتآلف مع وحدته ومع الأشياء المحيطة به، وأن يجد في صرير الباب الفة خاصة تجعله يحس بحركة مادية تحيطه فيأنس بها، ويكون معها علاقة خاصة.

إن الصوت المكتوم للرجل الوحيد، التقى علانية صرير الباب.. وكان هذا يجعله يدرك وجوده، حتى يحس بأن النوم وحده.. هو الذي يعزله عن المشاركة والاستمتاع بصرير الباب..

إن الدفاتر والكتب والطائرة والشمس.. حياة تملأ زمن رجل ترك الوظيفة متقاعداً بعد بلوغه الستين من العمر..

وهذه الأعوام الطويلة دلته على أن يعطي قيمة لخصوصية حياته ولغته ومشاركته الأشياء التي حوله.. ويتعامل معها برقة وحنو وإلفة.. وحين يفاجأ بزيارة زميلة له.. ندرك أي معنى تعطيه العلاقات الإنسانية القديمة من انس وفرح وتواصل..واستعادة جميلة لذكريات الماضي ونعرف أنها تعيش هي الأخرى وحيدة.. بعد أن أصبحت جدة.

وزمالة الوظيفة تجعلهما يستعيدان أوراق الزمن الراحل.. يقول لها: "الأيام كلما زحفت تصبح ذات طعم غريب لابد من اكتشاف ما وراءه.." وكان وراء تلك الأيام حباً مكبوتاً، حباً تثار صورته عند صرير الباب الذي تقوم بمسح احتكاكه بالزيت حتى يزول صريره.. تبدأ بالتدخين الذي قطعت الصلة به، ومن فنجان القهوة التي كانت ترفضه عند سقوط قطرة في الصحن.. معتبرة أن رعشة أصابع العامل إهمال وليس شيخوخة.. والآن... أصابعها هي التي ترتجف، ولها أن تعتذر عن الماضي. ويتفقان على مراحل:

ا - الذهاب إلى دائرة التقاعد لاستلام الراتب سوية.

ب - العودة إلى الوظيفة.

ج - الزواج.

ولم يكن هذا الاتفاق ليتم سريعاً، وإنما كانت براعة يوسف العاني تمهد له بهدوء.. فقد الغت المرأة صرير الباب أولاً.. وأعادت إلى البيت الهدوء.. في ما كان هذا الصرير يملأ سكون البيت.

ورغم أن المرأة التقت زميلها بعد غياب، حين توقف الباص الذي

كانت تقله قرب بيت الرجل، إلا أن هذه الصدفة لم تكن تبدو لنا موقوتة في الزمان والمكان وإنما جاءت لنستدل منها على أن تلك الحركة للباص بعد توقفها.. قد استعادت حركة جديدة في حياة امرأة ورجل كانا في عزلة الصمت.. فإذ بهما يبحثان ويتوجهان معاً لبناء حياة لا يسكنها الصمت، ولا تعزلها الوحدة والعزلة.. حتى أننا نجد حالات (عدم الإنصاف) التي كان يمارسها الرجل، رئيس القسم السابق، وقد تحولت إلى ذكريات جميلة.. إلى قيمة جميلة يمكن استبدالها بالشكر والثناء. وحين تكون هناك مشاعر صادقة واستجابة حقيقية للعمل والحب.. لا تكون هناك حاجة إلى صرير الباب..

الباب تحول إلى مجال مفتوح للحياة وللفرح.

ولأن يوسف العاني لا يريد أن يحول نصه إلى ميلو دراما عابرة أوحى إلينا بأن كل ما مر، كان يتأرجح بين "الحلم واليقظة" مع أن ذاك الحلم الطويل والجميل والسعيد قد تحول إلى قيمة جديدة، قيمة فيها تلتقي فعل اليقظة كاملة، وفعل البناء بحياة مستقبلية استطاع الفنان يوسف العاني أن يقنعنا بأهمية الوصول إليها، وبأهمية لأن نتمسك باليقظة التي يدعو إليها ويجسدها عن وعي كامل، وعن إدراك حقيقي لطبائع شخصياته وخلق حالة من التفاؤل في نفوسهم وبالتالي يعزز الحياة من خلال خبراتهم وإدراكهم.

ان طبيعة أعمال يوسف العاني، واقعية حميمة، إلا أن الكاتب يوحي إلينا بأنه ينقلها إلينا، في حين يكون نقله هذا نقلاً يحدد من خلاله أكثر من بعد، وأكثر من ايحاء.. ذلك أنه يكتب ويجسد الحالات والشخصيات التي يعرفها ويستعيدها في ذاكرته، ويخضعها لتجاربه ومواقفه.

و "الصـريـر" نموذج طيب ومـهـم في مـسـرح يوسف العـاني، وهي تذكرنا بمسرح شيخوف وشفافية عوالمه التي نكتشف من داخلها عدة إبعـاد وعدة رؤى.. وهي بالنتيجة ستحقق لنا أفق المستقبل أفق أن نرى.. أكثر من الحدود المرسومة أمامنا على الورق أو على خشبة المسرح..

يوسف العاني في مسرحية "الصرير" يستعيد أمامنا حالة التفاؤل من غير إلزام ومباشرة.. وإنما يأخذنا إلى قناعات جادة.. بهدوء وبفن راق ورقة وشفافية.. بتنا نفتقدها في مسرحنا.. إلا القليل، القليل.. حتى الندرة، وهذه الندرة نموذجها الطيب والحميم مسرحية "الصرير" التي تخفق لنا متعة القراءة والانتباه.. وبانتظار أن تحقق لنا نفس الحالة وهي مجسدة في عرض مسرحي .. نأمل مشاهدته في القريب.

الأقلام _العدد الخامس _أيار ١٩٨٧

اللعبة الموجعة

مقدمة المؤلف

مسرحية هازلة أضعها في صف "الكوميديا السوداء"
عن رجل أراد أن يجد "صنعة" تميِّزه عن الآخرين فكان الآخرون -إلاّ القلّة - يضحكون منه وعليه!

وحين عرفتُه في بداية الخمسينات، لم أضحك منه أو عليه، بل بكيت.. ثم وقفت في صفه لأكون محاميه حين وقع في الشرك..!

أماكن أحداث المسرحية

الشارع، الخرابة، المقاهي، الكازينو، الموقف، البستان

"حين تخرج المسرحية لا حاجة لتفاصيل الأماكن، إلاّ بالقدر الذي يشير إليها أو يدل عليها!"

اللوحة الأولى

يظهر جيقو على المسرح.. يسير بلا وجهة محددة..

أو يمشي في قاعة المسرح أو في أي مكان يتم العرض

المسرحي فيه..

صوت الـ (معلّق) يتحدث عن جيقو..

وجيقو يكاد يستمع إلى جزء من هذا الحديث

أو الحديث كله...!

تارة يبدو عليه رد فعل وتارة أخرى لا يهتم للصوت!

صوت المعلّق كانوا يسمّونه

"جيقو".... لكن اسمه الحقيقي غير هذا اللقب الذي لا

يدري أحد كيف التصق به..

وكيف ثبتُه صاحبه على نفسه دون حرج..

صوت ينادي عليه.. يردد جيقو على

الصوت وهو مستمر في المشي..

الصـــوت: جيقو؟

جـيـقـو: جيقو بعد ما بالع ريقو!

يختفي جيقو ثم يظهر حين يعود

التعليق..

المـعـلـق: كان غريب الشكل، قصير
القامة، قوي العضل،
ممتلئ الجسم، ليس قزما
لكنه أقرب إليه..
وجيقو يدّعي..

جـيـقـو: أنا قزم ليس هذا عيبا..

المـعـلـق: اشتغل أشغالا كثيرة تتناسب وجسمه وطاقاته..
اشتغل عتالاً..
"جيقو يمثل الحرفة التي يذكرها"

جـيـقـو: أحمل أثقل الأشياء على ظهري، حتى الذي
يزيد ثقلها على وزني.. اركض بها مثل الغزال..

المـعـلـق: وراح فترة يستعمل العربة اليدوية في نقل الحاجيات..

جـيـقـو: انها أسرع وأخف.. لكنني لا احبها، لأنها تسبقني
حين أمشي.. لهذا السبب أقودها أنا أحياناً..
"يمثل قيادة العربة بصورة معكوسة
بحيث يكون هو للأمام!"
جيقو يستمع إلى صوت من بعيد

الصـوت: جيقو..

جـيـقـو: جيقو يريد أن يعرف طريقو!!
"تتردد كلمة طريقه في ذهنه صدى
يحيط به".

اللوحة الثانية

في مكان خرب، في زاوية من زوايا المكان يقبع جيقو في الليل..
تمر فتاة فقيرة تنظر إليه....

الفتاة: جيقو.. جلبت لك أكلاً طيباً..

جيقو: من أين؟

الفتاة: من القصر المطل على النهر، كانت عندهم حفلة ورموا الأكل الذي زاد، فأخذت منه اللحم والدجاج..

جيقو: لا آكل من الفضلات، ولا اقبل منك المال الذي تشحذينه... ألا تدرين ذلك؟

الفتاة: لكن هذا الأكل طيب، وتمنيت أن تأكل منه.. لن تستطيع أن تشتري وتأكل مثله

جيقو: آكل ما اشتريه حتى ولو كان رغيف خبز فقط..

الفتاة: ولمن أقدّم هذا الأكل الطيب؟

جيقو: قدّميه للكلاب.. اذهبي

الفتاة: سأزعل عليك

جيقو: ازعلي.. دعيني أنام، اذهبي إلى أبيك فقد يحتاج إليك.

الفتاة: ذهبت إليه قبل أن اجئ إليك..

جيقو: كيف صحته؟

الفتاة: هذه الأيام، أحسن من قبل

جيقو: سلّمي لي عليه

الفـــتـــاة: وعليك السلام..
متى نخرج أنا وأنت إلى البستان نجلس على طرف الساقية ونغسل قدمينا بالماء ونأكل التوت الذي يسقط من الشجرة..

جـــيـــقـــو: حين تتركين الشحاذة

الفـــتـــاة: وكيف اتركها ؟ ومن يدفع لأبي قيمة دوائه ومن يأتي إليه بطعامه وهو ضرير كما تدري..

جـــيـــقـــو: اشتغلي بأي عمل، ولا تشحذي..

الفـــتـــاة: لا أعرف

جـــيـــقـــو: تعلّمي..

الفـــتـــاة: كيف أتعلم.. التعلم يحتاج إلى وقت وحين لا أشحذ يوماً واحداً يجوع أبي وأجوع أنا و...

جـــيـــقـــو: وماذا ؟

الفـــتـــاة: أعود لأشحذ مرة أخرى

جـــيـــقـــو: إذن لن نجلس على طرف الساقية ولن نغسل قدمينا بمائها

الفـــتـــاة: سأزعل عليك

جـــيـــقـــو: ازعلي

الفـــتـــاة: سأبكي..

جـــيـــقـــو: (لا يرد *عليها*..)
قلت سأبكي..

جـــيـــقـــو: ريم إذا بكيت والله العظيم أضربك وأنت تعرفين قوة يدي لاسيما حين أكون عصبياً

الفـتـاة: أنت الآن عصبي.؟

جـيـقـو: طبعاً

تضحك وتبتعد عنه..

الفـتـاة: إذن أنت تحبّني..

جـيـقـو: *(لا يرد عليها..)*

الفـتـاة: *(تقترب منه)*

جـيـقـو: *(لا يعيرها أي اهتمام)*

الفـتـاة: أنت مريض؟

جـيـقـو: لا.. سوف لن أشتغل، سأترك كل الأعمال التي اشتغلت بها..

الفـتـاة: لماذا؟

جـيـقـو: ليست عملي..

الفـتـاة: عمل من إذن؟

جـيـقـو: عمل كل الناس، كل واحد يستطيع أن يقوم بعملي.. الحمّالون كثيرون ودافعو العربات كثيرون، وبائعو الخضرة كثيرون، والشحاذون أمثالك كثيرون..

الفـتـاة: وأنت واحد منهم

جـيـقـو: لست شحّاذا..

الفـتـاة: لا أعني الشحاذين، اعني الحمالين ودافعي العربات

جـيـقـو: ليس هذا عملي وحدي، عمل يستطيع كل واحد أن يقوم به.

الفـتـاة: أنت تكتشف عملاً؟ أنت جيقو تكتشف عملاً كيف؟

جيقو: ريم لا تضحكي، أنا لست مثلك استجدي الصدقة والطعام، أنا آخذ الأشياء التي أريدها بنفسي حتى ولو تعبت أو هلكت.

الفتاة: لا.. لا تهلك نفسك، مع من أتحدث ومع من أضحك.. ومع من اذهب إلى البستان واجلس قرب الساقية وأغسل قدمي بمائها

جيقو: اذهبي مع الشيطان.. أنا أتحدث بموضوع فتذهبين إلى الساقية..

الفتاة: لا تزعل.. أكمل حديثك..

اللوحة الثالثة

جيقو يسير في الشارع وهو ينظر على مختلف الحرف..

النجار، الاسكافي، الشرطي وغيرها.. حتى يصاب بالتعب فيجلس على طرف الرصيف..

"الحرف هذه تُمَثَلْ أمامه"

جيقو: (مع نفسه)

لا أحب هذه الأعمال كلها.. لا أحبّها أحس إنني اؤديها كالآخرين، أؤديها مثلهم، وأحياناً أقلدهم..

أقلد الأقوى مني والأكبر مني.. فأنا تابع تابع..

أريد أن أتميّز بعملي، أكون أنا صاحبه أنا خالقه، أنا جيقو

جـيـقـو: سأبتكر عملاً أقوم به وحدي فجأة يشاهد حلاقاً يضرب صانعه فيصرخ الصانع من الألم..

الصـانع: آخ.. خدّي آخ

الحـلاق: لقد أخرجتني عن طوري، وجعلتني أضربك..

الصـانع: آخ..

(الصانع يظل يبكي)

الحـلاق: لا تبك.. اسكت.. أعطيك ربع دينار واسكت..

الصانع يقطع بكاءه تدريجياً..

خذ.. ربع دينار يأخذ ربع دينار ويسكت جيقو يمسك بخدّه ويضرب وجهه بطرف أصابعه، ثم يضرب وجهه بكفه ويضحك..

"حوار داخلي.."

الحـوار: جيقو.. ابتكار لم يسبقك إليه أحد.. ما رأيك؟

جـيـقـو: اضربني واعطني ربع دينار..

(يضحك ويركض.. وحينما يضاء المسرح نجده في المكان الذي يسكن فيه، ومعه ريم)..

ريـم: لا.. لا أستطيع!

جـيـقـو: ما عليك، اضربيني..

ريـم: كيف أضربك؟

"جيقو يحرّك يده في الهواء ضارباً شيئاً ما.."

جـيـقـو: هكذا.. هيا

(ريم تضربه على خده)

ريـــــم: ها.. آذيتك؟

جـيـقـو: اضربيني بكل قوتك..

(ريم تعيد الضربة..)

جـيـقـو: أقوى..

تضرب بقوة أكثر..

ريـــــم: لا.. هذه المرّة آذيتك..

جـيـقـو: لا، ضاعفي الضربة

ريـــــم: يعني أضربك مرتين واحدة بعد الأخرى

جـيـقـو: ابدا، ضاعفي الضربة..

ابعدي يدك عنّي ثم اهوي بها على خدّي..

(ريم تغمض عينيها وتضربه بقوة)

جـيـقـو: عظيم.. هذه ضربة ممتازة..

(ريم تنظر إليه بمرارة)

ريـــــم: وخدك..

جـيـقـو: يتحمل.. اعطني ربع دينار

"يضحك"

ريـــــم: وتعتبر هذا عملا..

جـيـقـو: عمل من اختراع جيقو، هل شاهدت أحدا

يقوم بمثل هذا العمل؟

ريـــــم: لا..

جـيـقـو: إذن أنا الوحيد الذي يقوم به.. الحمّالون كثيرون،

دافعو العربات كثيرون..

ريـــــــم: "تكمل" والشحاذون كثيرون.. والمجانين كثيرون

جـيـقـو: لست مجنوناً..

ريـــــــم: والله العظيم لو حكيت هذه الحكاية لأبي
لقال عنك انك مجنون!

جـيـقـو: الجنون فنون، وأنا مجنون عاقل صاحب
مهنة اضربني كفاً
واعطني ربع دينار!

اللوحة الرابعة

في احدى المقاهي.. مجموعة من الجالسين يضحكون
جيقو يقف وسطهم...

أحـدهم: أنت مجنون؟

جـيـقـو: لا والله أنا عاقل

أحـدهم: أضربك وأعطيك ربع دينار؟

جـيـقـو: نعم

ثـانـي: لماذا

جـيـقـو: شغل

ثـالـث: ألا تخاف على وجهك أو على خدك أو فكّك؟

جـيـقـو: أنا قوي ولا يؤثر عليّ الضرب..

الأول : لكن هناك بعض الرجال الأقوياء، قد يصيبوك بأذى..

جـيـقـو: أكون أذكى منهم.. "يضحك"
والآن من يفتتح اللعبة..

الثـــاني: أنا

جـيـقـو: اضرب..

(يضربه، وجيقو ينتفض..)

اعطني ربع دينار..

(الرجل يسلمه ربع دينار..)

من يجرِّب ويضربني على الجهة الثانية

الأول: أنا

جـيـقـو: اعطني ربع دينار

يسلمه الربع دينار..

جيقو يخرج..

في مقهى أو طرف شارع وعلى طرف منه، رجل يبدو قوي البنية، ينظر إلى جيقو نظرة تحدٍ، يرفع يده وحين يهوى بها عليه يحرك جيقو رأسه، بعض الجالسين ينظرون إلى ما يجري....

جـيـقـو: ربع دينار..

الـرجـل: لم يمسَّ كفّي خدك..

جـيـقـو: لست مسؤولاً

الـرجـل: لقد حركت رأسك مع حركة اليد..

لا أعطيك ربع دينار

جـيـقـو: لكنك ضربتني

الـرجـل: ضربت الهواء..

جـيـقـو: ألم تسمع صوت الضربة؟

الـــرجـــل: سمعته وكأنني أربت على خدك

جـــيـــقـــو: أنت لا تعرف كيف تستعمل يدك..

الـــرجـــل: لا تستفزني وإلا كسرت رأسك..

جـــيـــقـــو: أنت تكسر رأسي.. أنا أستطيع أن أكسر عشرة رؤوس من أمثال رأسك.. لا تتصورني ضعيفاً لأنني صغير الجسم، أعطني ربع دينار، أو اسمع..

تعال اضرب مرة أخرى..

"الرجل يضربه ويتقي جيقو الضربة بشيء من الألم الواضح.."

جـــيـــقـــو: أعطني..

"الرجل ينظر إلى جيقو نظرة فيها شيء من الحنان.."

الـــرجـــل: خذ

جـــيـــقـــو: ما هذا؟

الـــرجـــل: نصف دينار

جـــيـــقـــو: ولكنك...

الـــرجـــل: لا، لقد ضربتك مرتين، وسواء مسست خدك بقوة أم لا، فأنا هويت بكفّي على خدك.. ثم إنني لم ألتق بواحد يقوم بمثل هذه اللعبة الموجعة.. خذ النصف دينار واعذرني إن آذيتك...

يتقدم إلى رجل يرقب ما يجرى بشيء من التأمل غير المريح..

جـــيـــقـــو: اضربني على خدي وأعطني ربع دينار

الـــرجـــل: لماذا؟

جـــيـــقـــو: لعبة..

الـــرجـــل: لكن هذه اللعبة لا إنسانية

جـــيـــقـــو: ليس هذا المهم، المهم أن تضربني وتعطيني أجرة الضربة ربع دينار

الـــرجـــل: *(يتأمله بألم)*.. طيب خذ هذا الربع دينار واذهب.. دون أن أضربك

جـــيـــقـــو: لا.. لا آخذ الربع دينار بلا مقابل.. أنا لست شحّاذا هل فهمت؟

يخرج..

اللوحة الخامسة

"المكان الخرب..

جيقو يضحك ومعه تجلس ريم"

جـــيـــقـــو: هذا اليوم جرّبت سته..

الفـــتـــاة: كلهم..

جـــيـــقـــو: ضربوني

(ريم تُمسك بخدّه وتتحسسه)

الفـــتـــاة: هل غسلت خدك بالماء الحار..

جـــيـــقـــو: لماذا الماء الحار؟

الفـــتـــاة: حتى يعود طبيعياً

جـــيـــقـــو: حينما آخذ الربع دينار يعود طبيعياً

الفـــتـــاة: ألم تتألم؟

جـــيـــقـــو: أتألم.. ثم أنسى الألم

الفـــتـــاة: جيقو، أرجوك اترك هذا العمل المجنون

جـــيـــقـــو: لا تقولي هذا.. إنه عمل عاقل..

أنا عاقل وأعمل ما يروق لي.

الفـــتـــاة: ويروق لك أن يضربك الآخرون..

جـــيـــقـــو: أنا الذي أطلب منهم ضربي..

إذا ضربني أي رجل دون رغبتي فإنني أشبعه ضرباً

الفـــتـــاة: مع ذلك احترس من اليد القوية التي تشعر أنها تؤذيك

جـــيـــقـــو: لقد فعلت ذلك مع رجل ضربني..

الفـــتـــاة: وهل آذاك؟

جـــيـــقـــو: لا، تصوّري انه اعتذر منّي..

الفـــتـــاة: لماذا ضربك إذن؟

جـــيـــقـــو: لعبة لم يلعبها من قبل أراد أن يجرّبها

الفـــتـــاة: وأنت؟

جـــيـــقـــو: أنا ماذا؟

الفـــتـــاة: جرّبت لعبتك وكفى، اتركها، ستأتي كل يوم

وخدودك متورمة.. أهذا عمل تحسد عليه.."

جـــيـــقـــو: بالعكس.. الكل ينظرون إليّ باستغراب وأنا اختار من

بينهم من يلعب اللعبة.. إسمعي، خذي هذه دينارين

اشتري شيئاً لأبيك، وخذي هذه ثلاثة دنانير اشتري بها

"فستاناً" ملوّناً لك.. واذهبي إلى الحمّام اغتسلي وتعطّري

الفتــــاة: ونذهب أنا وأنت إلى البستان..

جـيـقـو: نجلس على حافته ونغسل قدمينا بالماء البارد..
لكن بشرط..

الفتــــاة: ما هو؟

جـيـقـو: ألا تشحذي من أحد في اليوم الذي
نذهب فيه إلى البستان

الفتــــاة: لن أشحذ..

اللوحة السادسة

ريم وجيقو.. في البستان
في جوّ رومانسي حلو...
جيقو ينظر إلى مجموعة من
الشباب وقد ارتدوا ملابس
زاهية، يتأملهم جيدا، وقد ارتدى هو لباساً آخر
غير الذي شاهدناه فيه..
وكذلك بدت ريم في زيّ ملوّن اشترته لهذه المناسبة..

الفتــــاة: جيقو.. ما بك

جـيـقـو: لا يلتفت إليها..
جيقو...

جـيـقـو: ها

الفتــــاة: أين سرحت

جـيـقـو: ريم.. اسمعي

الفتاة: ماذا..

جيقو: انظري إلى هذه المجموعة..

تنظر إليهم

الفتاة: ما بهم

جيقو: هؤلاء من الشباب المدلّل..

الفتاة: وما علاقتنا بهم

جيقو: تكون أيديهم مترفة.. أعني ليست قوية

الفتاة: وماذا نريد منهم؟

جيقو: شغلة سهلة

الفتاة: كيف؟

جيقو: ضرباتهم لا تؤذي.. وأجمع منهم ثلاثة دنانير

الفتاة: جيقو.. عيب أنا معك..

جيقو لا يعبأ بكلامها..

يذهب إليهم.. وريم تنظر إليه من بعيد..

ترى يد كل واحد منهم تهوى على خد جيقو.

الجميع يضحكون لهذه اللعبة..

ريم دموعها تسقط من عينيها بعد كل ضربة. يعود جيقو فيرى ريم وهي تبكي تنهض ويتجهان إلى خارج البستان..

جيقو: هل جئت بك إلى البستان لكي تبكي؟..

يكفي..

الفتاة: وجئت معك إلى البستان لكي تُضرب أمامي وأنا أتفرّج..

جـيـقـو: لم أضرب وإنما اشتغلت..

الفـتـاة: لقد طلبت منّي ألا أشحذ في هذا اليوم،
فلم قمت أنت بشغلك في نفس اليوم؟

جـيـقـو: الشحاذة ليست شغل..
اسمعي.. إذا لم تكفّي عن البكاء لن آتي بك مرة أخرى إلى البستان، أسمعت؟

الفـتـاة: لن أبكي..

اللوحة السابعة

نفس المكان الذي يقطن فيه جيقو، نرى فراشاً جديداً وتغييراً قد حدث فيه.. وجيقو يحاول أن يرتّب بعض ما موجود فيه.. يتأمله.. بعد قليل تدخل ريم فتنظر إلى المكان..

الفـتـاة: اشتريت كل هذا؟

جـيـقـو: من عرق جبيني.. من عرق خدودي..
وإذا استمريت في عملي هذا ربما أبني بيتا..
ريم خذي..

الفـتـاة: ماذا..

يقدم لها نقودا..

جـيـقـو: خذي واشتري فراشاً جديداً لك ولأبيك

الفـتـاة: لا.. لن آخذ منك نقوداً بعد اليوم

جـيـقـو: لماذا؟

الفتاة: لأنك تأتي بها مقابل ضرب الآخرين لك.

جيقو: ريم أقول لك للمرة الأخيرة، اتركي هذا الموضوع، أنا مقتنع به

الفتاة: لا.. لن آخذ

جيقو: والله العظيم أضربك

الفتاة: اضربني.. واعطني ربع دينار

جيقو ينظر إليها بحنو ورقة يتبادلان النظرات الحانية

جيقو يقبل رأسها والدموع تتساقط من عينيها...

جيقو: خذي..

الفتاة: أبي لا يقبل، سألني في المرة الماضية من أين جئت بالنقود، قلت له من جيقو، قال احذري أن تأتي بفلس واحد من غير الشحاذه، انتبهي، واحذري من الذئاب البشرية..

جيقو: أنا لست ذئباً يا ريم..

الفتاة: أدري.. قلت له أن جيقو يشتغل والشغل يدرّ عليه مبلغاً كبيراً من النقود وهو الذي أعطاني الثلاثة دنانير

جيقو: وصدّقك..

الفتاة: طبعا صدقني

جيقو: وخذي هذه النقود وقولي له انها من جيقو أيضاً..

الفتاة: وإذا لم يصدقني

جيقو: أجيء أنا إليه بنفسي وأقدّمها له..

الفتاة: إذن أبق النقود عندك وتعال أنت وأعطها له

جـيـقـو: أنا أريد أن أجيء إليه بمناسبة أكبر..

الفـتـاة: ما هي؟

جـيـقـو: لا أقولها الآن..

الفـتـاة: متى..

جـيـقـو: حين نكون مرة أخرى في البستان قرب الساقية نغسل قدمينا بالماء البارد آنذاك أقولها لك..

الفـتـاة: متى؟

جـيـقـو: لا أدري.. مازلت في بداية اللعبة حين أجتازها أو أتعب منها سنذهب إلى البستان..

اللوحة السابعة

المقهى الأولي التي شاهدنا فيها جيقو حين بدأ لعبته أول مرّة.. يدور على الزبائن

جـيـقـو: يلله إدفع ربع دينار واضرب هذا الخدّ ربع دينار فقط..

(لا أحد يرد عليه..)

(يقترب من زبون سبق وضربه)

يلله، جرّب.. لا أقول آخ..

الـزبـون: جرّبت وضربتك ولم تقل آخ وأعطيتك ربع دينار

جـيـقـو: وأنت؟

الـزبـون: لا أريد

(جيقو يفكر بعض الوقت..)

جـيـقـو: اسمعوا ادفعوا أقل من ربع دينار.. مائتي فلس..

(لا أحد يرد عليه..)

مائة وخمسين فلسا..

(لا أحد يرد..)

مائة فلس..

يردد رقم مائة فلس عدة مرات دون جدوى وأكثرهم يلهو منصرفاً إلى زميله أو لعبته

جيقو يخرج منكسرا....

في مقهى أخرى شاهدناه فيها أيضاً وفيها الرجل الضخم الذي اعتذر منه ودفع له عن ضربتين..

يمرّ من بينهما دون أن يستجيب له أحد.. يجلس منزويا.... ويحوار داخلي..

الحوار: بارت الشغله.. لم يعد لها زبائن..

ينهض ويخرج..

اللوحة الثامنة

جيقو في مكانه ومعه ريم..

الفتاة: اترك عملك هذا ، وابحث عن عمل جدّي

جيقو: أبداً، لن أتركه، إلا بعد أن أتعب

الفتاة: أنت تعب الآن

جيقو: ليس من عملي ولكن بسبب الناس

الفتاة: بدون الناس لا تستطيع أن تعمل..

جيقو: قلت لهم بمائة فلس ولم يتقدم أحد

الفتاة: خلاص.. معنى ذلك أنهم لم يعودوا يحبّون هذه اللعبة..
ها.. ماذا تقول.
(جيقو يفكر بخاطرة طرأت له..)

جيقو: عندي فكرة..

الفتاة: قل ما هي؟

جيقو: سأغيّر المكان، سأذهب إلى أماكن أخرى.

الفتاة: كيف يعني..؟

جيقو: أماكن يلتقي فيها الأغنياء وتتجمع فيها الشخصيات الكبيرة.. ربما يدفعون أكثر من ربع دينار

الفتاة: وكيف تدخل إلى هذه المحلات؟

جيقو: سأحسن مظهري وهناك سيحترمونني

الفتاة: ويحترمون خدك أيضاً فتهوي أكفّهم عليه

جيقو: وتتساقط عليّ عشرات الدنانير..

الفتاة: آه.. إنني خائفة عليك

جيقو: لا تخافي.. وسوف ترين كم سأحصل في الليلة الواحدة..

اللوحة التاسعة

في مقهى راقية - كازينو - ربما
بدا على بعض الموجودين فيها علائم السكر..
يجلس رجل أنيق يحيط به أربعة من جماعته..

يدخل جيقو..

جـيـقـو: السلام عليكم يا جماعة..

لعبة مسلّية أنا ابتكرتها.. من يرغب في

أن يرتاح وهو تعبان، أو يفرغ غضبه وهو عصبي

غضبان، أو يضحك وهو عابس.. عليه أن يضربني

وأنا راضٍ، يضربني على خدي، كفًا حسب قوته

وقدرته ويدفع لي ربع دينار أو أكثر إذا كان كريما..

الرجل الأنيق يلتفت إلى جماعته

الأنـيـق: اضربه واعطه ربع دينار..

المجموعة: نعم

الأنـيـق: يبدو أن في عقل هذا الرجل لوثة..

كيف دخل إلى هنا..

ينادي على جيقو..

الأنـيـق: تعال..

جـيـقـو: تفضل..

يفسح له مجالا لأن يضربه..

فيضربه بقسوة بحيث يوشك جيقو أن يسقط..

يتمالك أنفاسه ويخاطبه..

ربع دينار..

الأنـيـق: تريد ربع دينار

جـيـقـو: نعم مقابل الضربة..

الأنيق يباغته ضربة أقسى من الأولى على خده الآخر..

الأنيق: خذ..
جيقو يسقط.. يغالب الألم
فينهض.
جيقو: أعطني نصف دينار عن الضربتين..
الأنيق: اعطيك هذا..
يبصق في وجهه ويضحك..
ومثل سهم طائش يضربه جيقو ضربات
سريعة على وجهه ويطرحه أرضاً..
وحين ينهض من معه ليمسكوا به ينسل
مثل الأفعى دون أن يلحق به أحد..
جماعة الأنيق يمسكون بصاحبهم ويعدلون قيافته
وهو لا يصدق ما حلّ به.
الأنيق: أين هو؟
أحدهم: لا أدري كيف فلت من أيدينا
الآخر: كان أسرع من أن نمسك به
الأنيق: أخبروا الشرطة واعرفوا أين يكون عادة هذا الصعلوك،
وسوف أجعلهم يكسرون رأسه.. هيا
الجميع ينتفضون

اللوحة العاشرة

جيقو يسير في أزقة ضيقة وهو يمسك خده
ويردد مع نفسه كالمجنون..
جيقو: المهم أنني أخذت بحقي. ضربته أربع ضربات.. ولو

كان وحده لحطمت رأسه هذا الوحش..
رجلان من الشرطة يدخلان المقهى الأولى التي رأيناه
فيها يفتشان ويسألان الجالسين ثم يخرجان..
جيقو يقترب من المكان الذي يسكن فيه.. يقف

جيــقــو: لا، لا أذهب الآن، فقد يأتون إلى هنا
يغيّر مكان سيره..
الشرطيان في المقهى الثانية
يفتشان ويسألان ويخرجان..
ريم تدخل مكان جيقو فلا تراه

الفــتـــاة: لم يأت لحد الآن.. أين ذهب
هذا اليوم.. سأنتظره
جيقو يقف في طرف من شارع
مظلم.. يلمح الشرطيان من بعيد فيركض..
ريم مازالت قلقة في المكان الخرب..
يقترب الشرطيان ومعهما رجل كان
يجلس ضمن زبائن المقهى..

الـــرجـــل: يقولون أنه يسكن هنا
(الشرطي يرى ريم..)
الشرطي: تعالي..
(ريم تفزع..)

الفــتـــاة: المال مال الله والسخي حبيب الله..

الشــرطي: أتعرفين هذا القزم المجرم؟

تنتبه إلى قصد الشرطي..

الفتاة: أي مجرم..

الشرطي: الصعلوك

الفتاة: لا أعرف أحداً.. أنا شحّاذة وأمرّ من هنا أحياناً، فيتصدق عليّ البعض بالطعام وأحياناً بالقليل من المال...

الشرطي: هل دخل قزم صعلوك إلى هنا

الفتاة: لم أر أحداً..

المال مال الله والسخي حبيب الله..

(تبتعد عنهم..)

(جيقو يظهر من بعيد متجهاً إلى نفس المكان، يشاهده الشرطي الثاني..)

الشرطي: هذا هو..

(يركضون خلفه ويركض هو...)

ريم تنظر إليهم وتبكي

الفتاة: ماذا فعلت يا جيقو.. وماذا سيفعلون بك؟

تركض وراءهم..

اللوحة الحادية عشرة

في مخفر للشرطة..

أحد رجال الشرطة يرمي بجيقو

إلى داخل الموقف..
عدد من الموقوفين ينظرون إليه
تبدو على وجهه قسوة الضرب
الذي ناله.. جيقو يضع يده
على خده.. وأحد الموقوفين يتقدم منه
ويتحدث معه...

جيقو: أيها الكلب!

الموقوف: لماذا ضربك هكذا؟

جيقو: لأنني ضربته

الموقوف: ولماذا ضربته..؟

جيقو: لأنه ضربني دون أن يدفع لي حقي..

الموقوف: وما هو حقك؟

جيقو: نصف دينار

الموقوف: لم أفهم شيئا، يضربك
ويعطيك نقودا..

جيقو: هذه لعبة، هي عملي هل فهمت؟

الموقوف: لا لم أفهم شيئا

جيقو: إتركني إذن..

الموقوف: سأتركك.. ولكن دعني أسألك..
يعني لو قلت لواحد، أن
يضربني على خدي ويدفع لي ربع
دينار.. سيقبل؟

جيــقــو: البعض يقبل والبعض الآخر لا يقبل..

الموقــوف: فكرة حلوة.. نجرب

جيــقــو: كيف؟

الموقــوف: إضربني وأدفع لي ربع دينار..

جيــقــو: أنا من الذين لا يقبلون

الموقــوف: المهم.. حين أخرج سأجرّب
هذه اللعبة..

جيــقــو: جرّبها..

اللوحة الحادية عشرة

خارج الموقف..
نشاهد الرجل الضخم ومعه
شاب يحمل حقيبته نعلم بعد
ذلك أنه "محام"..
الشرطي يقترب من الباب بعد
أن يدخل المحامي إلى غرفة
الضابط ويخرج جيقو..

المحــامي: مرحبا

جيــقــو: أهلا وسهلا

الرجل الضخم: مرحبا..

جيــقــو: أهلا بك

المحــامي: عرفتني..

جيـقـو:	لا
الرجل الضخم:	نساك..
المحـامي:	تذكر
جيـقـو:	لا أتذكر
المحـامي:	أنا الذي أعطيتك ربع دينار دون أن أضربك.. كنت واحداً من الذين عرضت عليهم لعبتك هذه.. تذكر جيدا.. يومها احترمتك وعرفت أنك لا تقبل منّة الآخرين وعطاءهم بلا جهد تقدمه حتى لو كان ضربك على خدك..
جيـقـو:	وما زلت: تحترمني؟
المحـامي:	لهذا جئت أدافع عنك.. سأكون محاميك..
الرجل الضخم:	إن الأستاذ صديقي وقريبي..
المحـامي:	وسأكون صديقك من بعيد تظهر ريم تصرخ..
الفـتـاة:	جيقو.. جئت لك بأكل طيب لم أشحذه بل اشتريته لك من بقايا النقود التي أعطيتني إياها.. سوف أترك الشحاذة حين تخرج.. جيقو يلتفت إلى المحامي..

جـيـقـو: وهل سأخرج؟

المحـامي: سنحاول أن نخرجك بكفالة
أول الأمر ثم نخرجك ولكن بشرط..

جـيـقـو: ما هو الشرط

المحـامي: أن تفكر بعمل آخر ابتكره
لنفسك، ولكن من غير أن يضربك أحد..
جيقو يهز برأسه
وريم تلوح إليه..

المـعـلـق: وحين خرج جيقو من
السجن، راح يبحث عن عمل جديد..
وقبل أن يجد العمل، كانت ريم تعمل
في معمل للنسيج.. وفي البستان جلسا
على طرف الساقية وغسلا قدميهما..
ريم وجيقو يجلسان في البستان..
في البستان نفسه..
المجموعة من الشباب المدلل يجلسون
غير بعيد ينظر إليهم جيقو وأحدهم يكتشفه..
يتقدم إليه..
وبيده ربع دينار

الشـاب: خدك وهذا الربع دينار..
جيقو ينظر إليه مترددا..

ريم تلتفت إليه..

الفتـــــاة: لا.. لن يضرب هذا الخد بعد اليوم

تميل على خدّه وتقبّله..!

الساعة

(لوحة مسرحية)

شخصيات اللوحة

- الكاتب
- زوجته
- ثلاث رجال

  الأول، الثاني، الثالث
- الرجل البدين
- زوجتاه
- أطفاله الثلاثة
- العروس والعريس
- الفتاة
- الرجل الكبير
- الرجل النائم

مقدمة المسرحية

ممثلات وممثلو المسرحية يغنون على المسرح، يتقدم أحدهم مخاطباً الجمهور..

أيها الأصدقاء

أردنا أن نختار اسماً لمسرحيتنا لكننا وبعد أن صارت المسرحية - النص - عملاً يقدم على المسرح، صرنا شركاء فيها، وصار لنا حق اختيار الاسم.

في البداية خطر ببالنا أن نسميها.. المحطة لأن الديكور يمثل محطة قطار، فتذكرنا أن هناك مسرحية غنائية للرحابنة قدمت ببيروت قبل سنوات، وهناك مسرحية عراقية بهذا الاسم قدمت ببغداد وفي أكثر من محافظة!

خطر ببالنا اسم آخر "بانتظار القطار" فالحدث الرئيس في المسرحية هو الانتظار.. وتذكرنا مسرحية "بانتظار جودو" لبكيت فخشينا أن نتهم بالعبثية! وتذكرنا كذلك مسرحية "بانتظار اليسار" لكليفورد أو ديتس فخشينا أن نتهم باليسارية!

وورد بالذهن عنوان آخر "القطار" فمرت أمامنا أحداث فيلم "القطار" الذي مثل فيه "برت لانكستر" و"بول سكافولد".. أو قد يقترب الاسم من فيلم آخر، بطولة ليلى مراد ويحيى شاهين!

"تتقدم ممثلة" لقد اقترحت عليهم اسماً آخر.. "العرب" (تساؤل من الجمهور)..

- العرب؟

- "الممثلة" نعم العرب؟

قد تستغربون من هذا الجمع بين القطار والمحطة وبانتظار جودو وانتظار اليسار وبين هذا الاسم المقترح "العرب" "يعود الممثل إلى التعليق"

هذا الجمع وارد - لكننا خشينا من أن نتهم بـ "المباشرة" وخشينا أيضاً أن نتهم بالتقليد فهناك جريدة بهذا الاسم تصدر في لندن وهي عربية ومجلة اسمها "كل العرب" وما أكثر المجلات والجرائد العربية التي تصدر في بلدان غير عربية!

"تعود الممثلة" وتعددت الأسماء والموت واحد.. عفواً! والمسرحية واحدة! حتى قر القرار بعد خلاف واختلاف وصل حد النزاعات والمهاترات والشتائم تارة وشحذ العزائم تارة أخرى، حتى تعبنا.. وأردنا أن نعرف الوقت الضائع.. فنظرنا إلى ساعاتنا.. فلم نعرف مدى هذا الوقت لأننا حين بدأنا اختيار اسم للمسرحية بدأناه دون أن نعرف وقت أو زمن البداية! "يعود الممثل".

- قلنا لماذا لا نسمي المسرحية بـ "الوقت الضائع"..؟ فخشينا مرة أخرى أن نتهم بالانحياز إلى الرياضة أكثر من انحيازنا للمسرح.

فجأة صرخ عدد ليس بالقليل.. لنسم المسرحية بـ "الساعة" فكلنا يحمل ساعة إلا واحداً كان قد نسيها في الحمام! فضحكنا كلنا واتفقنا من خلال الضحك على التسمية: الساعة!!

"تعود الممثلة"

ولكن.. هل تريدون الحقيقة؟ هناك في القلوب والصدور آراء أخرى تريد أن تسمي المسرحية بأسماء أخرى! لكن الوقت قد ضاق وبين شخصيات المسرحية المخلص والعاق..

وربما مثلت هذه المسرحية في المغرب أو الأردن أو الكويت أو في العراق.

وربما جاء الزمن الذي تؤدي فيه هذه المسرحية وممثلاتها إلى الوفاق. وآنذاك نكون قد أدينا الواجب. أو نكون قد أبقينا فوق العين الحاجب!

"يتعالى صراخ في القاعة"

- خلصونا... مللنا الكلام.

نريد المسرحية الحقيقية ذاتها سواء كان اسمها القطار أو الساعة أو المفتاح أو المحطة أو أي اسم آخر.. هلكنا..!

"ينسحب الممثلون بينما يظل ممثل واحد تحت إنارة ضعيفة يردد لواحد من المشاهدين.."

- قد تعرض المسرحية، وقد لا تعرض..

وقد يخرج الجمهور خلال العرض وقد يبقى ليصفق

"الممثلة تتدخل"

- لكننا لا نريد التصفيق فقد مللناه مثلما مللنا الكلام.. ولا نريد ثواباً لنجاح المسرحية فقد كسبناه..!

نريد حساباً عسيراً لنا إذا كانت المسرحية فاشلة! ولننتظر ما دام ضوء المسرح مظلماً بانتظار مصير المسرحية!

"محطة قطار فارغة يدخلها المسافرون تباعاً.. بينما نشاهد رجلاً قد غفا على أرضية المحطة في واجهة الجمهور، لا يتحرك طيلة عرض المشهد الأول من المسرحية لكنه يقول كلمة في نهايته"

الحياة تدب منذ دخول الشاعر والكاتب والصحفي وزوجته وتظل متدفقة مع دخول كل مجموعة.. وليس شرطاً أن يكون كل ما في المحطة واقعياً بقدر ما يكون موحياً بدلالات السلوك ومعطيات الحوار"

الكاتب: *"وهو شاعر وصحفي في ذات الوقت يدخل مع زوجته التي تبدو عليها البساطة يحملان حقيبة السفر، ما إن يضع الحقيبة حتى يحس بمعاناته"* أف، المحطة فارغة. لم يأت أحد بعد! وأنت تطلبين مني أن أعجل في المجيء حتى نسيت ساعتي وقلم حبري.

زوجته: ما علينا بالآخرين. المهم أننا وصلنا قبل وصول القطار بفترة مناسبة كي لا نقلق. أما الساعة فأنا عندي ساعة. والقلم يمكن أن نشتريه من مكتبة المحطة.

الكاتب: لا أستطيع الكتابة إلا بالقلم الذي تعودت الكتابة به

زوجته: وإذا ضاع؟

الكاتب: أظل لفترة لا أكتب شيئاً..

زوجته: نحن في سفر ولا أظنك تحتاج إليه.

الكاتب: بالعكس، السفر مليء بالمفارقات والأحداث. كلها تستأهل الكتابة عنها. حتى الناس يمكن أن أسجل عنهم الشيء الكثير وقد استوحي قصيدة أو..

زوجته: *"تقاطعه"* أعتبر هذه السفرة للراحة..

الكاتب: الراحة بلا كتابة راحة ناقصة.

زوجته: أوف منك. الكاتب يكتب أم القلم؟

الكاتب: القلم جزء من الكاتب، اتركي هذا الموضوع لا أريد أن أعكر سفرتنا قبل بدايتها، سأشتري قلماً لأتعود عليه منذ الآن..

"يتوجه إلى جهة المكتبة"

زوجته: "ترتب بعض أمتعة تحملها بيدها.."

"يدخل ثلاثة رجال بأزياء مختلفة"

الأول : جئنا في الوقت المناسب "يجلس على الحقيبة"

الثاني: المناسب *"يجلس أيضاً"*

الثالث: *"يجلس على الحقيبة دون أن يقول شيئاً، يخرج بعد لحظات علبة السعوط ويستنشق منها. يعطس"*

الأول والثاني: يرحمكم الله.

الثالث: أثابكم الله.

"يعود الكاتب بحالة عصبية"

زوجته: ها..

الـكـاتـب: لا توجد أقلام في المكتبة!

زوجـتـه: ماذا يوجد إذن؟

الـكـاتـب: أوراق بلا أقلام. وقناني بلا حبر. وحبر بلا قناني!

"الرجال الثلاثة ينظرون ويستمعون إليه"

الأول : "ينهض ويقدم له قلماً" تفضل هذا قلم.

الـكـاتـب: شكراً، لا أريده الآن أحتاجه حين أكتب.

الأول: أنا معك في القطار قلمي تحت تصرفك.

الـكـاتـب: شكراً.

الأول : "يعود إلى مكانه"

زوجة الكاتب: "تردد مع نفسها" مكتبة بلا قلم!

كيف يسمونها مكتبة؟

الـكـاتـب: تحولت إلى مخزن كل ما يحتاجه المسافر موجود عدا الكتاب والورقة والقلم. عندي فكره..

زوجـتـه: ماذا ؟

الـكـاتـب: اذهب إلى البيت ثم أعود إلى المحطة..

زوجـتـه: لماذا ؟

الـكـاتـب: اجلب الساعة والقلم.

زوجـتـه: مستحيل. لا يمكن ضمان ذهابك وعودتك. الطريق ليس سالكاً. والازدحام وحوادث الاصطدام والحفريات والمجاري.. و.. وقد يأتي القطار.. *"تنظر إلى ساعتها"*

لم يبق إلا نصف ساعة. اقعد

"تمسك بيده وتجلسه بجانبها"

"يدخل رجل بدين وزوجتاه بدينتان أيضاً ومعهما ثلاثة أطفال عند دخولهم تحدث ضجة مما يثير انتباه الرجال الثلاثة الذين مازالوا جالسين على حقائبهم أحدهم يدخل والثاني يشم السعوط بين فترة وأخرى والثالث يبدو وكأنه في حلم"

الزوج: *"بصوت عال"* عجلا..

الزوجة الأولى: الحقيبة ثقيلة!

الزوج: أنت التي حشوتها بمختلف البضائع والسلع.

الأولى: هدايا.

الزوج: *"ينادي على الثانية"* وأنت

الثانية: الأطفال متعبون..

الأولى: أبني عاقل. "تسحب ابنها إلى جانبها"

الثانية: لم أقل من العاقل ومن غير العاقل.

الزوج: بدأ العراك قبل وصول القطار..

نرجع إلى البيت أحسن

"يهم بالعودة"

الزوجتان: *"بصوت واحد"* لا.. الله يخليك. سنتصالح.

"الزوجتان تتبادلان القبلات"

الكاتب وزوجته: ينظران إليهما..

الكاتب: آه لو كان القلم معي.. لكتبت.

الأطفال الثلاثة يركضون ويتجهون إلى سكة القطار..

الرجل الأول: *"يصرخ"* يا أطفال انتبهوا..

الزوجـــتـــان: *"تصرخان" تعالوا.. "تذهبان إليهم"*

زوجـة الكاتب: *"تنظر إلى ساعتها"* بعد خمسة وعشرين دقيقة

الرجل الثـاني: *(الذي يدخن ينظر إلى ساعته)*

لا بعد تسعة عشر دقيقة.

زوجـة الكاتب: ساعتي لا تخطئ. ساعة اميريكية.

الـــكـــاتـــب: هس.

الـــرجـــــل: *"مع نفسه"* لم أسمع بساعة اميريكية

لا تخطئ الساعات المضبوطة..

الرجل الثـالث: *"والذي كان نائماً يستيقظ فجأة"* هس.

الرجل الثـاني: *"بطرافة"* أردت أن أقول ساعات قمرية

أو شمسية مثل الحروف *"يضحك"*

الرجل البـدين: *"ينظر إلى ساعته"* بقيت عشرون دقيقة.

زوجـة الكاتب: *"تهم بالرد عليه وهي تنظر إلى ساعتها.."*

الـــكـــاتـــب: *"يمنعها من الرد وهو يهمس في أذنها"* ساعتك

ساعة محايدة سويسرية! كيف تقولين اميريكية،

لتثيري إشاعة.

زوجـــتـــه: *"تهم بالرد عليه ومناقشته"*

الـــكـــاتـــب: كفى.. بقيت فترة قصيرة لوصول القطار *"تتعالى*

زغاريد من خارج المحطة"

"يدخل العريس ومعه العروس"

الأطفـــــال: *"يهرعون إليهما وهما يرددان بفرح"* عروس وعريس..

"الزوجتان تزغردان بعد أن كانتا تأكلان خلال وجودهما كله"

الـــــزوج: عيب

العـــــروس: *"يبدو عليها الخجل"*

العـــــريس: شكراً.. *"يضعان حقائبهما على طرف ويجلسان..."*

زوجة الكاتب: أزغرد أنا..

الـكـــاتــب: لا. انتهت الزفة. آه لو كان معي قلمي، لكتبت قصيدة فرح لهما.

زوجـــتـــــه: اكتب عن زواجنا أنا وأنت قبل..

الـكـــاتــب: كتبت وقتها في مفكرتي أربعة سطور..

زوجـــتـــــه: تتذكرها؟

الـكـــاتــب: *"يردد"* بدأت حياة جديدة أتمنى أن تكون سعيدة، أن تكون جديدة حقاً، أن تكون غنية في عطائها الخيِّر.. أن تكون...

"يحاول التذكر"

زوجـــتـــــه: أن تكون ماذا؟

الـكـــاتــب: *"يحاول التذكر"*.. لا أتذكر الجزء الأخير..

زوجـــتـــــه: تنسى أهم جزء فيها.

الـكـــاتــب: أنت تذكرينه؟

زوجـــتـــــه: كنتَ أحفظه عن قلب. كنت أكرره مع نفسي. أكرره أمام الآخرين.. ثم نسيته

الكاتب: تساوينا في النسيان.

زوجته: أنا نسيته لأن الطفل لم يأت!

الكاتب: مازال هناك أمل. وسوف نتذكر المقطع الأخير سوية..

* *

العريس: *"يخاطب عروسه"* .. عطشانه؟

العروس: لا.

العريس: جوعانة؟

العروس: بالعكس

العريس: أشتري لك شيئاً

العروس: ماذا؟

العريس: نستله مثلاً.

العروس: كبرنا على النستله. النستلة للأطفال.

العريس: ماذا تريدين أن أقدم لك؟

العروس: الأمل السعادة.. الحب.

العريس: حاضر حين يأتي القطار سنرحل إلى هذا العالم الذي تريدين عالم الأمل والسعادة والحب.

* *

"الرجل الثاني الذي كان نائماً من بين الرجال الثلاثة.. ينهض ويتمشى في المحطة وهو يقترب من الجميع وكأنه يراقبهم ولكن بمهارة وحذق دون أن يشعر أحداً إنه يراقب. يقترب من جماعته ويهمس في أذن الأول.."

الثاني: ما رأيك..؟

الأول : أي رأي؟

الثاني: أسأله عن البورصة..

الثالث: تسأل من؟

الثاني: ذاك - *"يشير إلى الرجل البدين"*

الثالث: اقترح لو تسأله عن النفط.

الأول : لأدع ذلك بعد وصول القطار.. في العربة نتعرف عليه ثم نتفاوض..

الثاني: أنت أكثر منا دبلوماسية!

الثالث: خبرة سوق!

"ساعة المحطة تدق"

الجميع وبأصوات واضحة.. *"دقت الساعة"*

"سيصل القطار"

"الساعة السادسة..."

"الكل ينظر إلى ساعته.. وحين تنتهي دقات الساعة يصرخ الكاتب وأحد الأطفال والعروس والأول":

"دقت الساعة سبع دقات!!"

الجميع يردد بأصوات واضحة..

"الساعة السابعة.."

زوجة الكاتب: مستحيل

الأول : مستحيل جداً

العريس: مستحيل مستحيل

العروس: *"توشك أن تبكي"* طبعاً مستحيل

الزوج: قبل أن نخرج كانت ساعتنا في البيت تشير إلى الخامسة.

زوجته الأولى: أنا ضبطتها على ساعة الإذاعة.

الثانية: وأنا ضبطتها على التلفزيون والفيديو.

الرجل الثالث: ساعة المحطة هي الأصل. هي الأضبط.

الأول: *"بسخرية"* الساعة الأميريكية ماذا تشير؟

الثاني: يبدو أن عقاربها مكسورة.

الثالث: من الذي قال أن ساعته أميريكية.

زوجة الكاتب: *"تهم بالرد"*

الكاتب: *"يمنعها من الرد"*

الثالث: إذن وقتوا ساعاتكم على ساعة المحطة.

الزوج البدين: وما الفائدة؟

الثالث: حتى نضبط ساعاتنا.

الكاتب: المهم وصول القطار

الجميع: صحيح.

الكاتب: لقد فاتنا القطار.

الأول: القطار جاء في موعده غادر في موعده نحن الذين تأخرنا عليه.

العريس: موعده الساعة السادسة.

الكاتب: وقد وصلنا قبل السادسة بساعة تقريباً

الـــــــزوج: ونحن وصلنا قبل نصف ساعة.

العـــــريس: ونحن وصلنا قبل السادسة بعشر دقائق.

العـــــروس: عشر دقائق بالضبط.

الثــــــالث: يا جماعة أنتم تحسبون الوقت على ساعاتكم أنتم ساعة المحطة تشير إلى السابعة وعدة دقائق أما ساعاتنا فتشير إلى السادسة..

الـكــاتــب: يعني هناك خطأ في الساعات..

الثــــــالث: في ساعاتنا.. ساعة المحطة هي الساعة التي يتحرك بموجبها القطار أو يتوقف.

الـكــاتــب: مازلت أقول إن هناك خطأ.

"صوت يتعالى في أرجاء المحطة يشير إلى أن الساعة هي السابعة وخمس دقائق..

الوجوه كلها متجهمة والصوت يتكرر أربع مرات..

الزوج البـدين: *سأسأل بائع التذاكر.. يخرج"*

* *

يخرج رجل تجاوز الخمسين عاماً يحمل حقيبة قديمة بيده.

الــــرجـــل: السلام عليكم.

الجـــمـــيع: عليكم السلام

الــــرجـــل: الحمد لله، القطار لم يأت بعد.

الـكــاتــب: القطار لن يأت..

"تدخل فتاة شابة واثقة من نفسها"

الفـــتـــاة: تأخر القطار..

الرجل الكبير: يتأخر دائماً.. عدة دقائق..

الزوجة الأولى: اليوم تأخر ساعة وعدة دقائق

الفـــتـــاة: موعده في السادسة.. تأخرنا نحن عدة دقائق بسبب المرور..

الزوجة الثانية: انظري إلى ساعة المحطة..

الفـــتـــاة: *"تنظر إلى الساعة"* مستحيل...

الرجل الكبير: *"يضع نظارته وينظر إلى الساعة"* السابعة وسبعة دقائق.. هذا غير ممكن.

زوجة الكاتب: حسبنا دقاتها كانت سبعة.

الفـــتـــاة: غير صحيح.

الثـــالـــث: وأعلن موظف المحطة قبل قليل السابعة وخمسة دقائق.

الزوج المدين: "يعود" بائع التذاكر نفذت تذاكره وأغلق الكشك!

الرجل الكبير: معنى هذا أن القطار جاء وغادر المحطة قبل أكثر من ساعة...

الـكـاتـب: نحن جئنا قبل ساعة من موعد وصول القطار..

الثـــالـــث: إذا كان اعتمادكم على ساعاتكم فأنتم مخطئون.. وأنا مخطئ أيضاً..

الزوج المدين: اضبطوا ساعاتكم على ساعة المحطة ساعاتنا خطأ.

الفتــــاة: ساعتي مضبوطة.

العــــريس: لماذا لا تكون ساعة المحطة غير صحيحة.

الزوج البدين: لأنها ساعة واحدة. وساعاتنا مختلفة

الـكـاتـب: لكننا الأكثرية.

الثــــالث: ما جدوى الأكثرية إذا كان القطار قد فات.

الرجل الكبير: لابد أن يكون هناك سر..

الفتــــاة: *"تنظر إلى الساعة وتتحرك في أنحاء المحطة.. خلال أحاديث الآخرين"*

الثــــالث: *"يوجه حديثه إلى زميليه"*
ماذا تقولان؟

الأول : دعونا نتفرج... وننتظر متى ما جاء القطار نركب!

الثـــاني: ربما غادر القطار المحطة قبل ساعة

الثــــالث: يأتي غيره

الأول : متى؟

الثــــالث: تحدده ساعة المحطة.

الزوج البدين: كلام سليم. هذا كلام ذهب. يا جماعة مثلما قلت لكم اضبطوا ساعاتكم منذ الآن حتى نعرف موعد وصول القطار الجديد.. هيا.
"يدور على الجميع"

الـكـاتـب: ساعتي تركتها في البيت وهي مضبوطة.

زوجــتــه: سأضيف على ساعتي ساعة حين يصل القطار.

الـــزوج: وأنتما..

الزوجتان: غيرنا ساعاتنا منذ أن غيرتها أنت.

"يقترب من الرجال الثلاثة"

الثالث: نحن لدينا رأي..

الزوج: ما هو..

الثالث: قد نعقد معك بعض الاتفاقات..

الزوج: ليس قبل ضبط الساعات.. فقد يضيع علينا الزمن...

الثالث: نحن ساعاتنا في جيوبنا، ونراقب ساعة المحطة.

"يقترب من الفتاة"

الزوج: وأنت يا آنسة.

الفتاة: لن أغير ساعتي. إنها مضبوطة والخلل هنا في هذه الساعة.

الزوج: اسمعوها.. تقول هنا الخطأ.. *"يقترب من العريس"* وحضرتك..

العريس: سنفكر بالأمر..

الزوج: *"يقترب من الرجل الكبير"* وأنت يا عم

الرجل: *"يضحك"*

الزوج: تضحك..

الرجل: نعم أضحك.. إن ساعتي واقفة أصلاً. وهذا سبب تأخر مجيئي إلى المحطة اعتمدت على ساعة صديق لي.

الزوج: والآن كل ساعاتكم مضبوطة على ساعة المحطة "يردد الآخرون عليه.. كل حسب الموقف الذي اتخذه.."

الكاتب: ساعتي تركتها في البيت.

زوجـــتـــه: سأضيف على ساعتي ساعة

الزوجــتــان: غيرنا ساعتينا.

الرجل الثالث: نخفي ساعاتنا في جيوبنا

الفـــتـــاة: لن أغير ساعتي.

العـــريــس: سنفكر في الأمر.

الرجل الكبير: ساعتي واقفة أصلاً!

الزوج المدين: اضبطوا ساعاتكم على ساعة المحطة.

"الأصوات تختلط كلها، صوت يعلو
على كل الأصوات..
هو صوت الرجل الذي كان غافياً نائماً على الأرض
منذ البداية.."

الرجل النائم: ما هذا الصراخ؟ عن أي شيء تتجادلون..

الـكـــاتــب: ساعة المحطة؟

الرجل النائم: ما بها..

الـكـــاتــب: صح أم خطأ..

الرجل النائم: لا أدري. أنا لا أحمل ساعة.

الفـــتـــاة: أين كنت قبل ساعة؟

الرجل النائم: أنا هنا منذ البارحة..

الـكـــاتــب: هل جاء القطار في موعده..

الرجل النائم: القطار لم يدخل المحطة منذ ليلة أمس حتى الآن.. لم يتأخر ساعة واحدة بل ساعات وساعات.. فابحثوا عن كل هذه الساعات..

ابحثوا عن الأسباب التي أحدثت كل هذا الخلل..

دعوني أنام!

"يعود الرجل لينام. الجميع في حالة جمود توقفت كل الساعات!"

---

* - لوحة من مسرحية لم تنته بعد . - ١٩٩٠ -

صديقي الذي ما زال يبتسم

مقدمة لابد منها

عرفته منذ سنوات، من خلال مقالاته في الأدب والنقد، وكتبه الفنية بكل ما هو خير وممتع.. والتقينا على صفحات الرسائل. فوجدت في كلماته لي روحه العالية وخلقه المتين وذكاءه المفرط ووعيه العميق وثقافته الثرة.. تقابلنا في القاهرة فعشنا سوية في بيته المتواضع مع زوجته الفاضلة الوفية وابنته الصغيرة الحلوة.. فعرفت عنه كل شيء.. وافترقنا على لقاء آخر جديد..

واليوم يعيش صديقي في سجن رهيب مع رفاقه وأصدقائه من الأحرار المناضلين يعيش هناك وهو يبتسم.

وتعيش زوجته تنتظر الخلاص. وابنته الحلوة الصغيرة.. تبكي مترقبة عودته. فإلى صديقي وإلى زوجته الوفية وإلى ابنته الحلوة الصغيرة أهدي هذه اللوحات القصيرة من حياتهم في سجنهم الكبير..

الشخصيات

المدير العام

السيدة فردوس زوجة الأستاذ رؤوف

أمل: ابنتها الصغيرة الحلوة

كمال: شقيق فردوس

فاطمة - الخادمة

اللوحة الأولى

- في غرفة المدير العام -

(طرقات خفيفة على الباب)

المـــديـــر: تفضلي

فـــردوس: صباح الخير

المـــديـــر: أهلا وسهلا

فـــردوس: هل طلبتني يا سيادة المدير

المـــديـــر: أجل يا فردوس.. تفضلي استريحي

فـــردوس: شكرا

المـــديـــر: أنا متأسف يا فردوس، أن أقول لك شيئاً لا يسرك فأنا أعتبرك كابنتي تماماً.. وان والدك رحمه الله كان أخاً لي.. ولكنني مضطر..

فـــردوس: لا حاجة لإخفاء أي شيء عني يا سيادة المدير

المـــديـــر: أجل يا فردوس، أنا مضطر لأن أقول لك.. إن الأوامر التي وصلتني تقتضي أن أصدر أمر فصلك من الدائرة، هذا أمر يا فردوس من...

فـــردوس: أعرف.. أعرف يا سيادة المدير ممن تصدر الأوامر..

المـــديــــر: إنني مضطر كما قلت لك لأن أنفذ.. ولكني لم أكن أريد ذلك ولاسيما بالنسبة لك أنت بالذات..

فـــــردوس: وما الفرق يا سيادة المدير، فأنا واحدة من كثيرين.. أنا لا أختلف عن أي فرد ممن أصابهم فضل عميم.. فضل حكامنا وإرهابهم الأسود.

المـــديــــر: لقد حاولت جهدي والله ان أرد عنك هذا الأمر المجحف ولكنهم أوشكوا أن يهددوني.. قالوا لي بصراحة.. إنك إن حاولت عدم تنفيذ أمر الفصل، فأنت ضدنا وضد نظامنا..

فـــــردوس: شكراً على كل حال.. فالأمر بالنسبة لي يعتبر طبيعياً لقد توقعت ذلك منذ أن ألقي القبض على رؤوف.. لقد كانت خطتهم تنفذ بمراحل..

المـــديــــر: أنا أكرر أسفي وأتمنى ألا يدب اليأس إلى نفسك فهناك أعمال أخرى تستطيعين القيام بها غير هذه الوظيفة..

فـــــردوس: بالعكس يا سيادة المدير، إن فصلي من وظيفتي لن يبعث اليأس في نفسي أبداً، إنه يزيد من إصراري على شد أزر زوجي. وإزر الآلاف من أمثاله.. إن ما يصيبني قليل وقليل بالنسبة لهم.

المـــديــــر: وما هي أخبار الأستاذ رؤوف..

فـــــردوس: إنه مازال يبتسم. مازال على قوته وبسالته. إنهم يعذبونه بسياطهم، وهو يعذبهم بجلده وبصبره،

بابتسامته المشرقة العذبة. إنهم يحاولون سرقة الابتسامة من شفتيه بعصيهم وبمائهم البارد..
والابتسامة تتجدد على ثغره في كل لحظة.. شكراً لك يا سيادة المدير.. *"تهم بالخروج"*

المـــديـــر: مع السلامة يا فردوس

فـــردوس: مع السلامة "تخرج"

اللوحة الثانية

(في دار الأستاذ رؤوف)

(أمل مستلقية في فراشها وبجانبها الأستاذ كمال)

أمـــــــل: أريد بابا يا خالي

الخــــــال: سيأتي قريباً إلينا يا أمل وسيجلب لك هدية جميلة

أمـــــــل: وأين هو الآن يا خالي..

الخــــــال: إنه في إحدى المدن القريبة من القاهرة

الخــــــال: إن عمله يا أمل لا يسمح له بالمجيء
إنه ملزم على البقاء هناك..

أمـــــــل: فلماذا إذاً يأتي إلينا كل أسبوع إذا كان قريبا

أمـــــــل: أليست لهم عطلة يا خالي يستطيع أن يأتينا فيها..

الخــــــال: يا أمل.. إنك متعبة الآن فحاولي أن تنامي..
وسآخذك إليه إذا ما تأخر في العودة إلينا..

أمـــــــل: طيب يا خالي..

الخال: "*ينهض*" مع السلامة يا حبيبتي.. نامي بهدوء وبعد ساعات ستأتي ماما من الدائرة وسأعود إليك في المساء أيضاً..

أمل: مع السلامة يا خالي

الخال: "إلى فاطمة وبصوت منخفض" حاولي أن تهدئيها وتراقبيها جيداً يا فاطمة..

فاطمة: أمرك يا سيدي..

الخال: "*يخرج*"

أمل: "*تبكي وهي تكرر*" أريد بابا.. أريد بابا..

اللوحة الثالثة

(في دار الأستاذ رؤوف أيضاً)

(صوت جرس باب)

فاطمة: "*تفتح الباب*" ست فردوس.. لقد عدت مبكرة..

فردوس: أجل يا فاطمة.. لم يعد لي مكان في الدائرة..

فاطمة: ماذا تعنين..

فردوس: فصلوني..

فاطمة: فصلوك؟..

فردوس: أجل مأثرة جديدة من مآثرهم.. كيف حال أمل..

فاطمة: لقد استيقظت عدة مرات وكانت تكرر كلمات غير مفهومة..

فـــــردوس: ودرجة حرارتها..

فـــاطمـــة: والله يا ست فردوس ما زالت كما تركتيها في الصباح..

(فترة قصيرة) ست فردوس لماذا فصلوك؟

فـــــردوس: دعي الفصل جانباً يا فاطمة فالمسألة متوقعة وغير مهمة.. هل جاء شقيقي كمال

فـــاطمـــة: أجل جاء بالدواء إلى أمل..

فـــــردوس: وهل قالت له شيئا

فـــاطمـــة: أجل، لقد كانت تكرر دائماً أريد بابا.. أريد بابا..

فـــــردوس: لابد أن أحداً قد أخبرها يا فاطمة..

فـــاطمـــة: ومن يخبرها..

فـــــردوس: لا أدري لا أدري..

(تسمع صوت أمل من بعيد وهي تردد)

أمـــــــل: بابا.. بابا..

فـــــردوس: لقد استيقظت.

أمـــــــل: يا حبيبي يا بابا..

فـــــردوس: أمل...

فـــــردوس: أمل... أمل

أمـــــــل: من.. أنت ماما

فـــــردوس: نعم يا حبيبتي.. أنا ماما

أمـــــــل: وأين بابا

فـــــردوس: ألم نقل لك بأنه يشتغل في.. في طنطا

أمـــــل: لا يا ماما.. إنه ليس في طنطا.. إنه.. (تبكي)

فـــردوس: أمل.. أمل

أمـــــل: بابا في السجن في السجن يا ماما.. (تبكي)

فـــردوس: أمل

أمـــــل: *"تستمر في البكاء"*

فـــردوس: من قال لك يا أمل

أمـــــل: لقد قالت لي سهام..

فـــردوس: وماذا قالت..

أمـــــل: قالت لي.. أن أباها كان يقول لأمها بأن بابا في السجن وهو الآن مريض..

فـــردوس: وكيف تصدقينهم يا أمل..

أمـــــل: لقد شاهدته أنا أيضاً يا ماما

فـــردوس: أين شاهدتيه..

أمـــــل: شاهدته في المنام.. شاهدته مريضاً وشاهدتهم يضربونه يا ماما (تبكي)

فـــردوس: من يضربه يا أمل..

أمـــــل: الذين جاؤوا إلى البيت وأخذوه في الليل..

فـــردوس: يا حبيبتي يا أمل يجب ألا تصدقي الأحلام..

أمـــــل: ماما.. أرجوك لا تكذبي علي.. بابا في السجن.. في السجن.. قولي لي الحقيقة يا ماما أرجوك..

فـــردوس: "تبكي بصمت وبعد قليل تلتفت إلى أمل قائلة": أجل.. أجل.. بابا في السجن يا أمل.. بابا في

السجن مع عبد السميع ومع سيد حنفي ومع كل أصدقائه، بابا ليس وحده يا أمل كلهم معه.. كلنا معه يا حبيبتي.. أمل أنت تحبين عبد السميع والسيد حنفي وكل أصدقاء بابا أليس كذلك..

أمـــــل: أجل يا ماما

فـــردوس: (مستمرة) وأنت تحبين عمو سعيد

أمـــــل: أجل يا ماما

فـــردوس: وعمو سعيد لا يكذب أليس كذلك

أمـــــل: لا يا ماما عمو سعيد لا يكذب

فـــردوس: أتذكرين يا أمل ماذا كان يحكي لنا عمو سعيد. كان يحكي لنا عن السجن وكيف كان واحداً من آلاف السجناء في العراق.. وكيف تحمل العذاب وقضى زهرة شبابه فيه وبعد ذلك ماذا حصل يا حبيبتي..

أمـــــل: ماذا حصل..؟

فـــردوس: خرج عمو سعيد من السجن وجاء إلينا وتغدى معنا عدة مرات وكان يحدثك عن المسرح والسينما وعن بغداد.. أتدرين كيف خرج عمو سعيد من السجن

أمـــــل: لا يا ماما

فـــردوس: لقد هدموا السجن

أمـــــل: من

فـــردوس: الشعب يا حبيبتي. هدم السجن وخرج عمو سعيد

أمـــــل: ومتى سيهدمون سجننا يا ماما

فــــردوس: قريباً.. قريباً يا حبيبتي

أمـــــل: ويخرج بابا من السجن؟

فــــردوس: أجل يا روحي

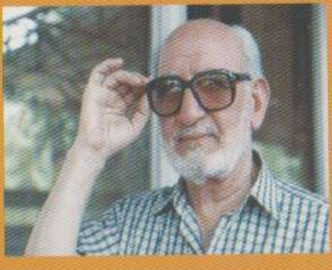
أمـــــل: متى ماما متى

فــــردوس: قريباً يا أمل قريباً "*تبكي وهي تحضن أمل*"

في بدايات كتاباتي للمسرح. لم أكن أفكر إلا باصطياد الأفكار التي تمس الناس من قريب أو بعيد، وأنا في كل ما أكتب اسخر من الواقع الرديء المرفوض. أشير إليه بشيء من المبالغة كي اقرب الصورة وارسم التناقض بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، ومع هذا التصور والتصوير لخلق حالة من الهزل المرّ في أكثر من موقع أو موقف.. ولم أكن اعرف آنذاك وأنا في بداية الخمسينات (الكوميديا السوداء) أو ما اشبه .

كانت الأفكار تتزاحم عندي واقف أمام بعض منها مكتوف اليدين لا أستطيع الإمساك بالقلم كي اعبّر عنها من خلال مسرحية اكتبها او فصل تمثيلي يجسد تلك الأفكار، لقد كانت قدرتي آنذاك عاجزة عن استلهام رسائل الإعداد الفني المتلائم مع الصيغ المسرحية المطلوبة أو الذي يوفق بين هذه الأفكار وبين الشكل الذي يمكن من خلاله التعبير عنها _ أي الأفكار _ .

واحدة من تلك الحالات التي اختزنتها في نفسي ذلك العجز الذي يحسه الإنسان أحياناً أمام ما يحيط به ليظل متسائلا لماذا يحدث هذا؟ وان الإنسان قاصر عن ان يفسر أسباب هذه الظواهر المؤسية والمؤلمة؟ أم أن قوة متسلطة عليه تشلّ طاقة إدراكه لجوهر مأساته؟



المؤلف